

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

المؤتلف الإنساني في التجربة الحضارية العمانية..

امتداد تاريخي وعمق مقاصدي

The human recombinant in the Omani civilizational experience - Historical extension and depth of my intentions

د. مريم بنت سعيد بن حمد العزريّة*

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عمان

mariamazri111@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/05/09 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تقديم التجربة العمانية الحضارية في صناعة المؤتلف الإنساني، كنموذج عملي في استثمار الرصيد التاريخي للعلوم الإسلامية وتفعيلها الحضاري في ظلال المقاصد العالية للشريعة الإسلامية والمصالح الكلية والجامعة للبشرية جمعاء. وتنبع إشكالية الدراسة من الاضطراب الحاصل في العالم الذي يحمل توجسا من مآلات العلاقات الإنسانية وشكلها وماهيتها؛ مما يستدعي تفعيل التصور الإسلامي في تحقيق المؤتلف الإنساني والتعايش المشترك بين الشعوب والأمم مع وجود الاختلافات الطبيعية وتعدد الثقافات والأديان، في سبيل النهوض بالمجتمع الإنساني وإعادة التوازن له. وعليه تهدف هذه الدراسة إلى بيان التصور الإسلامي الصحيح لمبدأ التآلف الإنساني، وتوضيح دور مقاصد الشريعة في بناء وتفعيل المؤتلف الإنساني والتعايش السلمي، مع تقديم نموذج تطبيقي من خلال عرض التجربة العمانية الحضارية الفريدة في الائتلاف الإنساني قديما وحديثا. وقد اقتضت تلك الأهداف اعتماد منهجية للدراسة تقوم على المنهج الاستقرائي مع توظيف المنهج التحليلي. وقد كانت أبرز نتائج الدراسة والمأمول منها:

* المؤلف المرسل: خبيرة وعظ وإرشاد بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان.

صياغة منهج عملي حضاري للتألف الإنساني يقدم للعالم لاستشراف حياة متوازنة يعيش فيها الناس على أساس الكرامة الإنسانية والعدالة والحقوق الأساسية، وبناء منظومة أخلاقية عالمية متعلقة بالسلوك البشري تنطلق من الفطرة السوية والمشتركات الإنسانية وتتجاوز التصنيفات والاختلافات الطبيعية بين البشر.

الكلمات المفتاحية: مؤتلف؛ إنساني؛ حضاري؛ عماني؛ مقاصد.

Abstract:

The importance of this study lies in presenting the civilizational Omani experience in the industry of human synergy, as a practical model in investing the historical balance of Islamic sciences and their civilized activation in the shadows of the high purposes of Islamic law and the overall and universal interests of all mankind.

The problem of the study stems from the turmoil in the world, which bears apprehension about the outcomes, form and nature of human relations. This calls for activating the Islamic conception in achieving human harmony and coexistence between peoples and nations with the presence of natural differences and the plurality of cultures and religions, in order to advance the human society and restore balance to it.

Accordingly, this study aims to clarify the correct Islamic conception of the principle of human harmony, and to clarify the role of the purposes of Sharia in building and activating human harmony and peaceful coexistence, while presenting an application model by presenting the unique civilizational Omani experience in the humanitarian coalition, ancient and modern. Those goals necessitated the adoption of a study methodology based on the inductive method with the use of the analytical method. The most prominent ambitions and results of the study were: formulating a practical, civilized approach to human harmony that presents the world to anticipate a balanced life in which people live on the basis of human dignity, justice and basic rights, and building a global ethical system related to human behavior that stems from common instinct and human commonalities and transcends classifications and natural differences between humans.

Keywords: recombinant; Humanitarian; civilized; Omani; purposes

مقدمة:

إن التآلف وترسيخ مبادئ الأخلاق والوئام والقيم الإنسانية هي ركيزة أساسية في بناء ورسم ملامح الحضارة الإنسانية القائمة على نمط رائع للسلوك الإنساني، يعترف بالآخر فيؤثر فيه ويتأثر به، ويمكنها من أداء وظيفتها في العمل لخير البشرية وصالحها ورشدها وتقديمها والذي جاءت لأجله الشريعة السمحاء.

أهمية الدراسة:

توظيف المعرفة الدينية التي أسهمت في تحقيق الريادة الحضارية من خلال الاستفادة من الموروث الحضاري وتفعيل العلوم الإسلامية في علاج مشكلات الحاضر؛ في سبيل الخروج من الأزمات المعرفية والمأزق الحضاري، وذلك عن طريق تقديم التجربة العمانية الحضارية في صناعة المؤتلف الإنساني وآلية استثمارها في صياغة منظومة أخلاقية عالمية متعلقة بالسلوك البشري الفردي والعقل الجمعي تقوم على المشتركات الإنسانية والقيم المشتركة.

الإشكالية والفرضيات:

الاضطراب الحاصل في العالم بدءاً من مشكلات الفقر وحقوق الإنسان وضحايا الصراعات والحروب والتداعي الاقتصادي، مع التوجس من مآلات العلاقات الإنسانية وشكلها وماهيتها في المستقبل القريب والبعيد.

أهداف الدراسة:

1. الإسهام في تفعيل دور العلوم الإسلامية والتجارب الحضارية في بناء الإنسان والمجتمع الذي يحقق الإقلاع الحضاري والتنمية المستدامة للبشرية جمعاء.
2. المشاركة في تعزيز ثقافة السلام والتفاهم واحترام الحياة الإنسانية للشعوب وتقديرها.
3. بيان دور مقاصد الشريعة في بناء وتفعيل المؤتلف الإنساني والتعايش السلمي.
4. عرض المؤتلف الإنساني في التصور الإسلامي وتقديم التجارب العملية والمبادرات التاريخية والمعاصرة في هذا الجانب للاستفادة منها للنهوض بالمجتمع الإنساني.
5. تقديم التجربة العمانية الحضارية الفريدة في الائتلاف الإنساني، وبيان المنطلقات والعوامل التي مكنتهم من ذلك الدور، والاستفادة منها.
6. إظهار جهود العمانيين على امتداد حضارتهم العريقة في تعزيز ثقافة السلام والتآلف وترسيخ مبادئ الأخلاق والوئام والقيم الإنسانية.
7. عرض اعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، والذي يمثل امتداداً لتاريخ السلطنة الثقافي والفكري في ترسيخ المؤتلف الإنساني وعمقها الحضاري في لعب دور وساطة السلام والتسامح.

خطة البحث:

مقدمة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للمؤتلف الإنساني وأهميته في الحضارة الإسلامية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المؤتلف الإنساني

المطلب الثاني: أهمية المؤتلف الإنساني في الحضارة الإسلامية

المبحث الثاني: المؤتلف الإنساني في التصور الإسلامي، وتحتة مطالب أربعة هي:

المطلب الأول: التأسيس المقاصدي للمؤتلف الإنساني

المطلب الثاني: ركائز المؤتلف الإنساني

المطلب الثالث: مظاهر الإئتلاف الإنساني في الحضارة الإسلامية

المطلب الرابع: ضوابط المؤتلف الإنساني

المبحث الثالث: المؤتلف الإنساني في التجربة الحضارية العمانية.. تأصيل تاريخي مقاصدي

المطلب الأول: التجربة العمانية في المؤتلف الفقهي.. قراءة تحليلية مقاصدية

المطلب الثاني: مشروع السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني (مركزاته، دوافعه، أبعاده، موجهاته).

خاتمة.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائي في جمع مادة الموضوع وترتيبها وتنسيقها، مع توظيف

المنهج التحليلي في دراسة محتواها والاستفادة منه في التأصيل للموضع والتنظير له، ومحاولة

الانسام بالموضوعية في مواطن الترجيح والاختيار والنقد عند الحاجة الداعية له، والالتزام

الاختصار والبعد عن الإطناب والتركيز على المعاني المهمة والاكتفاء بالتمثيل بأبرز ما يوضح المعنى.

أبرز نتائج الدراسة:

1. التوصل إلى منهج عمل يقدم للعالم ليعينه على النهوض من جديد واستشراف حياة

متوازنة يعيش فيها الناس على أساس الكرامة الإنسانية والعدالة والحقوق الأساسية والأمان

النفسي.

2. تقديم مقترح لبناء منظومة أخلاقية عالمية متعلقة بالسلوك البشري الفردي والعقل

الجمعي تباعد عن التصنيفات والاختلافات الطبيعية بين البشر وتركز على فطرة الإنسان السوية

دون النظر الى اعتبار آخر لتكون بؤرة التركيز على المؤتلف الإنساني والمشاركات الإنسانية والقيم

المشتركة.

وأسأل الله الكريم أن يبارك هذا العمل ويتقبله بقبول حسن، ويتجاوز عن الخطأ والزلل.

الباحثة

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للمؤتلف الإنساني وأهميته في الحضارة الإسلامية:

المطلب الأول: مفهوم المؤتلف الإنساني:

المؤتلف الإنساني مصطلح جديد غير متداول كثيرا في الخطاب الثقافي العالمي ولم يأخذ حقه من النظر والتأصيل والمراجعة في الخطاب الإسلامي إضافي مكون من كلمتين: المؤتلف والإنساني. فيلزم بيان كل واحدة منهما قبل بناء التعريف الإجمالي لهما.

فالمؤتلف هو اسم مفعول من أَلِفَ وَاَتَلَفَ، ويدل على القيام بالإنضمام والاجتماع ويحمل معاني التوافق والأنس والإلتئام، والاجتهاد في ذلك وتبنيها، فقد جاء في لسان العرب: "أَلِفَ الشيء وأَلِفَ فلانا إذا أنست به، وأَلَفَ بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وأَلِفَ الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض" ⁽¹⁾. وفي المعجم الوسيط: "اتلف الناس: اجتمعوا وتوافقوا، وتألّف: مطاوع ألفه وَاَتَلَفَ، وفلانا استماله، والألفة هي: الاجتماع والالتئام وفي علم النفس: خاصية تجاذب الظواهر النفسية في المجال الشعوري بتداعي الأفكار وترابطها، وفي الأخلاق: وشيجة بين شخصين أو أكثر يحدثها تجاذب الميول النفسية كصلة الصداقة و لحة القرابة" ⁽²⁾.

وأما مصطلح الإنساني فهو من الإنسان، أي الذي يحمل خاصية الأنس والاستئناس التي تقتضي التقارب والانضمام والاجتماع والإلف مع الغير، يقول الراغب الأصفهاني: "الإنسان: قيل: سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بآنس بعضهم ببعض؛ ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع من حيث لا قوام لبعضهم إلا ببعض ولا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه، وقيل: سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألّفه" ⁽³⁾، ووضح بعض الأوائل معنى مقولة أن الإنسان مدني بالطبع: "أي أنه لا بد له من الإعانة، والاستعانة، لأنه لا يكمل وحده لجميع مصالحه، ولا يستقل بجميع حوائجه.. فبالواجب ما يعرض في أضعاف ذلك من الأخذ والعطاء والمجاورة والمحاورة والمخالطة والمعايشة" ⁽⁴⁾.

وهذا المعنى الذي تواضع الناس عليه لمصطلح (الإنسان) يسهم في التأسيس على المستوى اللغوي لمصطلح (المؤتلف الإنساني) باعتبار أن الإنسان هو الكائن الاجتماعي المدني بطبعه الذي تأصلت فيه خاصية التعامل مع الآخرين بالأنس والتفاهم والإئتلاف والتوافق والتعاون ونحوها من مقومات خاصيته الإنسانية.

⁽¹⁾ ابن منظور، لسان العرب، 10/9.

⁽²⁾ إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص 24.

⁽³⁾ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 28.

⁽⁴⁾ التوحيدي، الصداقة والصديق، ص 161.

وربما يكون نعت المؤتلف هنا بالإنساني للتوضيح والبيان؛ بيد أن مادة (الإئتلاف) وحدها تحمل تلك المعاني وليست بحاجة لتوضيح ولا لبيان؛ لما تختزنه في ذاتها من معايير ومضامين يغلب على اتصالها بالإنسان وتمحورها حوله وأصالة خاصية قوامته الإنسانية الأليفة⁽¹⁾.

وعليه يمكن تعريف المؤتلف الإنساني بأنه التجمع القائم على الألفة والأنس من جهة، وعلى الائتلاف الإرادي العاقل الطبيعي والمصلحي من جهة ثانية⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن الاصطلاح بـ(المؤتلف الإنساني) هو الأكثر ملاءمة ومطابقة لجوهر العلائق والصلات بين بني البشر⁽³⁾ من صيغ قريبة منه ترمز إلى محتوى يشبه محتواه في تحقيق وحدة البشر، ولكنه أدل وأبلغ ويفوق علمها كونه مصطلحا مشحونا بحمولة لغوية ودينية وحضارية ثرية يضيق المقام هنا عن التفصيل فيها⁽⁴⁾، وذلك مثل مصطلح (العيش المشترك) الذائع اليوم، ومثل صيغ (حوار الديانات) و(تحالف الحضارات) و(لقاء الثقافات)، فعند التدقيق فيها يمكن استخلاص أن الديانات لا تتحاور والحضارات لا تتحالف والثقافات لا تلتقي، وإنما البشر أو رجالاتها هم الذين يقومون بتلك الأفعال، فهكذا تظل تلك الصيغ مفاهيم مجردة وماهيات عامة، بينما ينزع مشروع المؤتلف الإنساني إلى لزوم الإنسان نفسه في كينانيته وعيانيته وتشخيصيته، حاضا له على النظر فيما يجمعه بأخيه الإنسان⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: أهمية المؤتلف الإنساني في الحضارة الإسلامية:

اعتمدت الحضارة الإسلامية نهج التآلف الإنساني والعيش المشترك انطلاقا من أهميته على مستوى الأفراد والجماعات، وعلى مستوى تحقيق الرسالة السماوية والمصالح التي جاءت بها للعباد. وعليه حرصت على ترسيخ مبدأ التآلف بين البشر وتنظيم العيش المشترك بينهم لأسباب كثيرة ومنافع تتوخاها منها:

(1) ينظر: الحفيان: الإيلاف والإئتلاف والمؤتلف الإنساني، ص36.

(2) ينظر: وثيقة إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، ص16.

(3) المرجع نفسه.

(4) لمزيد الاطلاع على تلك المضامين لمصطلح المؤتلف ينظر: الحفيان، الإيلاف والإئتلاف والمؤتلف الإنساني، ص36-56.

(5) ينظر: السالمي، المؤتلف الإنساني والسلام العالمي، ص72.

1. المؤتلف الإنساني هو الخيار الحضاري الوحيد لإيجاد صيغة تعايش حضاري تراعي حقيقة الاختلاف البشري الفطري، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝﴾ [هود: 118]، فتنتظم في ظلّه حياة الناس وتسير بشكل سليم، يحقق مبدأ عمارة الأرض والخلافة فيها، بتوحيد الجهود البشرية والاندماج الجماعي في العمل المتكامل بعيدا عن نهج الخلاف والصراع والتناحر المؤدي إلى الفساد والتدمير المذموم، وقد قال جلّ علاه: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝﴾ [البقرة: 60].

2. في ظلّ المؤتلف الإنساني ينعم الناس بعيش كريم وحياة آمنة مستقرة في مختلف زواياها الاجتماعية والاقتصادية والتنموية المستدامة، حيث تصان حياة الفرد ومصالحه وترعى المصالح العامة في منظومة تجعل من الأوطان مساحة مشتركة تسع كل أبنائها وقاطنيها على تنوع أصولهم وتوجهاتهم وعقائدهم، تحت سلطة تنظم حياتهم. وحفظ السلم والأمن والوحدة هي قضية محورية واجتماعية كبيرة في تحقيق مقاصد عليا من الأصول والتشريعات الإسلامية، فبحفظه يأمن الناس على دينهم وعباداتهم وأنفسهم ومعاشهم وأعراضهم، وحياتهم، كما نص الغزالي "فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة، متى يتفرغ للعلم والعمل وهما وسيلته إلى سعادة الآخرة"⁽¹⁾.

3. إن الاعتراف بالآخر ومد جسور التواصل والتعارف ركيزة أساسية دعا إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۝﴾ [الحجرات: 13]، لأغراض كثيرة منها تبليغ الرسالة الإلهية العالمية للناس: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [سبأ: 28]، والتي تستلزم الانفتاح الإيجابي الفاعل على الأمم الأخرى وشعوبها وتبليغها الرسالة بأمثل الطرق كاستمالة القلوب واستقطاب العقول؛ ودفعهم للتعرف على هذا الدين وخيريته وأخيرا الدخول فيه، في إطار من الاحترام المتبادل والكلمة الطيبة والإحسان والسلم والأناة والرفق واللين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۝﴾ [النحل: 125].

4. استطاع أوائل المسلمين بما عرفوا به سماحة في التعامل مع الآخر أن يقيموا علاقات طيبة مع أصحاب الملل الأخرى، وفي مقدمتهم أهل الكتاب واستفادوا من دعمهم وخيراتهم، فكانوا عيوننا للمسلمين على أعدائهم، "فقد جاء في كتاب الخراج عن مكحول أنه لما رأى أهل الذمة وفاء

(1) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 255.

المسلمين لهم، وحسن السيرة فيهم، صاروا أشداء على عدو المسلمين وعيونا للمسلمين على أعدائهم، فبعث أهل كل مدينة رسلاً يخبرونهم بأن الروم قد جمعوا جمعا لم ير مثله...⁽¹⁾، وقد وصل الأمر ببعض المسيحيين إلى الاستنجاد بالمسلمين في التخلص من ظلم أنظمتهم واستبدادهم معلنين للمسلمين أنه "لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم وإن كانوا أي الروم من ديننا..." كما جاء في كتاب فتوح البلدان⁽²⁾.

المبحث الثاني: المؤتلف الإنساني في التصور الإسلامي:

لقد أمر الله سبحانه المسلمين بالتعايش فيما بينهم ومع غيرهم من أصحاب الملل الأخرى، وجعله واجبا شرعيا كونه ضرورة اجتماعية ولما ينضوي تحته من مصالح ومنافع يتبغها لخير البشرية وصالحها؛ وفي هذا الإطار قدم لنا التشريع الإسلامي رؤية متكاملة واضحة المعالم حول هذا المبدأ أسس بنائه وركائز تحقيقه وحدوده. سيتم عرضه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التأسيس المقاصدي للمؤتلف الإنساني:

إن مقصود الشرع من الخلق خمسة هي: أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم⁽³⁾ كما قرره علماء المقاصد، وزاد المتأخرون مقاصد أخرى تفصيلية تتضمن علاقات المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم، حسب ما يقتضيه تطور الحياة وتوسع مجالاتها وعلائقها وتشابك عناصرها وتعقد قضاياها، وخاصة قد استجدت بعض المصالح الضرورية في الجانب الإنساني العام التي لا تقل أهمية عن تلك الضروريات الخمسة، وقد أعلى الدين شأنها في الأصل⁽⁴⁾، وذلك مثل مقصد السماحة والصبر والشجاعة والكرم، والائتلاف وعدم الاختلاف، والعدل وعدم الظلم، كما جاء عند ابن تيمية⁽⁵⁾.

واعتبر ابن عاشور حفظ الحرية في المعتقد والعمل والحركة مع المساواة والعدل والتيسير والرحمة والتعاون والتعارف والسلام وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم من المقاصد العامة، وهي أسس لا يتحقق التعايش السلمي والإئتلاف الإنساني إلا في ظلها وتحت رعايتها⁽⁶⁾.

(1) أبو يوسف: الخراج، ص165.

(2) البلاذري: فتوح البلدان، ص143.

(3) الغزالي، المستصفى في علم الأصول، 1/ 174.

(4) ينظر: النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ص49-50.

(5) ينظر: البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، ص265-282.

(6) ينظر: ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص145-152.

وقد شهد البحث المقاصدي المعاصر جملة من الاقتراحات تتعلق بتقسيمات جديدة من خلال نظرات بأبعاد جديدة تضيف المقاصد المتعلقة ببناء المجتمع والعلائق الإنسانية من العدل والمساواة والحرية والحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلى تلك الكليات المقاصدية⁽¹⁾. فاقترح- مثلاً- جمال الدين عطية تصنيفاً للمقاصد الشرعية يضم أربعة وعشرين مقصداً موزعة على مجالات الحياة الأربعة هي: (مقاصد الشريعة فيما يخص الفرد، ومقاصد الشريعة فيما يخص الأسرة، ومقاصد الشريعة فيما يخص المجتمع، ومقاصد الشريعة فيما يخص الإنسانية)⁽²⁾، وتحت كل مجال منها تنتظم مجموعة من المقاصد العامة والجزئية المنطلقة من ضرورة ترسيخ مقصد التعايش السلمي والإتلاف الإنساني بين الأفراد والجماعات على مختلف المستويات والمجالات.

وفضلاً عن ذلك فإن موضوع التآلف والتعايش السلمي متعلق بالمقصد العام للشريعة الإسلامية وهو تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل⁽³⁾، فصالح العباد يقتضي صلاح المجتمع الذي يعيش فيه بصورة ينتظم فيها الاستقرار والأمن العام ويسود فيها العدل والتعاون بين الناس، ولتحقيق هذا الهدف جاء الإسلام بنظام مدني متكامل يتضمن تشريعاً شاملاً لجميع الأسس القانونية اللازمة لإقامة حياة اجتماعية آمنة مستقرة في الدولة، تسع جميع المقيمين فيها على اختلاف مشاربهم وأجناسهم وتوجهاتهم، وتنظم علائقهم بعضهم مع بعض، وعلائقهم بالسلطة الحاكمة، وتصور الحقوق الخاصة للأفراد والحقوق العامة للمجتمع، وتكفل تحقيق تبادل المصالح بين أفرادها والتكامل والتعاون بينهم كما سيأتي بيانه في المبحث اللاحق.

وعلاوة على ذلك يمكن إدراج (المشترك الإنساني ومؤتلفه) كمقصد كلي ضمن مراتب المقاصد وأصناف الضروريات؛ لأن المقاصد الشرعية هي مقاصد إنسانية تتمحور حول تحقيق الصلاح الإنساني على المستوى المادي والمعنوي (الروحي والديني والديني والأخروي)، فالمناط المؤسس لفكرة المقاصد الضرورية الكلية هو مناط إنساني محض لا تختلف عليه العقول ولا الشرائع والأديان، وهو من أهم مضامين المؤتلف الإنساني الذي

(1) ينظر: الخليلي، وجهة نظر، 1/ 249-250: القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص 73-79: عبد الرحمن: تجديد المنهج في

تقويم التراث، ص 111.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 139-172.

(3) ينظر: الغزالي، المستصفى، 1/ 174.

يقوم على مجموعة من المبادئ الفطرية والأخلاقية السليمة والسلوكيات النافعة التي يتشارك عموم الناس الاهتمام بها والحرص عليها⁽¹⁾، وتسعى إلى أن تحفظ لهم الكليات الخمس الضرورية والمتمثلة في (حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل)، وذلك على المستوى الفردي والعام للأمة الإنسانية من جانب الإيجاد والحفاظ عليه من العدم.

المطلب الثاني: ركائز المؤتلف الإنساني:

إن المؤتلف الإنساني في المنظور الإسلامي يقوم على أسس راسخة وقواعد كلية تهدف بناء حضارة اجتماعية متنوعة الأجناس والمشارب تعمل لخير البشرية وصلاحها الدنيوي والأخروي. منها:

أولاً: حرمة النفس الإنسانية وكرامتها وحفظ حقوقها:

لِلنَفْسِ الْإِنْسَانِيَةِ حَرَمَتُهَا وَكَرَامَتُهَا وَحَقُّهَا فِي الْعَيْشِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فقد كرمها الله تعالى بالعقل والصورة المعتدلة والنطق وتسخير الأشياء وتدبير أمر المعاش والمعاد⁽²⁾. والإنسان مكرم لكونه إنساناً دون مراعاة لأصله أو جنسه أو معتقده ونحوها من المحددات والاعتبارات التي تتصارع البشرية لأجلها، حتى أهدرت الدماء وأهلكت الشعوب وانهارت المجتمعات.

والإسلام عصم النفس الإنسانية وصانها وحفظ لها حقوقها وحرّم الإعتداء عليها بأي شكل كان وأوجب المساواة ومنع التمييز العنصري اتجاهها أو التكبر عليها والتعالى على الغير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَلَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 151]. وقد رتب على الإخلال بتلك الحقوق الإنسانية حدوداً وتعزيرات كثيرة مبسطة في كتب الفقه والسياسة الشرعية. ومنها استخلص العلماء الكليات المقاصدية الضرورية وحصروها في خمسة أمور تتعلق بحفظ مصالح النفس الإنسانية المتمثلة في حفظ دينها ونفسها وعقلها ونسلها ومال⁽³⁾، إما من جانب الإيجاد لها ابتداءً، وإما بالحفاظ

(1) ينظر: الحارثي، التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني، ص 83.

(2) ينظر: الزمخشري، تفسير الكشاف، 2/636؛ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، 1/631.

(3) ينظر: الغزالي، المستصفى، 1/174؛ الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، 3/300؛ الشاطبي، الموافقات، 2/8؛ السالمي، شرح طلعة الشمس على الألفية، 2/119-120.

عليها واستدامتها بدفع ما ينقضها ويفسدها⁽¹⁾؛ ولا غرو أن تلك الكليات الخمس مجمع على اعتبارها في جميع الملل؛ فقد حرم الله تعالى تفويتها وزجر عنها في جميع الملل السابقة فالشرائع لم تأت إلا لإصلاح الخلق وأمورهم وتحقيق مصالحهم⁽²⁾. قال الشاطبي: «لقد اتفقت الأمة؛ بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس، وعلمها عند الأمة كالضروري، ولم يثبت ذلك بأصل ولا دليل معين؛ بل علمت ملائمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد»⁽³⁾.

ولا يفوتنا التوضيح في هذا المقام شبهة تعارض حد القصاص مع وجوب الحفاظ على النفس الإنسانية وعصمتها، فالجواب أن النفس التي عنيت الشريعة الإسلامية بحفظها هي النفس المعصومة بالإسلام أو الجزية أو الأمان⁽⁴⁾، وإن إجازة إزهاقها والاعتداء عليها -إن ارتكبت ما يجيزه- فليس من قبيل إلغاء العناية بها في الشرع لكن من قبيل كون مصلحة حفظها عورضت بمصلحة أعظم، فأخذ بأعظم المصلحتين⁽⁵⁾.

وليس أدل على تكريم النفس الإنسانية وحرمتها ووجوب العيش المؤتلف بين البشر من تذكير الله تعالى الإنسانية دائماً في كثير من المواضع بوشائج العبودية لله ووحدة الأصل والرحم التي تجمعهم وتربطهم وتدفعهم لحسن معاملة بعضهم لبعض. قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾ [النساء: 1]، فكون الخلق بأسرهم مخلوقين من نفس واحدة له أثر في هذا المعنى؛ وذلك لأن الناس لا بد وأن يكون بينهم نوع مواصلة ومخالطة توجب مزيد المحبة، فالفائدة في ذكر هذا المعنى أن يصير ذلك سبباً لزيادة شفقة الخلق بعضهم على البعض، وإذا عرف الناس كون الكل من شخص واحد تركوا المفاخرة والتكبر وأظهروا التواضع وحسن الخلق والمعاملة⁽⁶⁾.

(1) ينظر: الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ص 63؛ البوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص 177-185.

(2) ينظر: الغزالي، المستصفى، 1/ 174؛ الأمدى، الأحكام، 3/ 300؛ الريسوني، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، ص 49-68.

(3) الشاطبي، الموافقات، 1/ 20.

(4) ينظر: النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، 9/ 148.

(5) ينظر: البوي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ص 204.

(6) ينظر: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421 هـ - 2000 م، 9/ 130.

ثانياً: إقرار سنة الاختلاف والاعتراف الإيجابي بالآخر:

إن التنوع والتعدد والاختلاف سنة من سنن الله الكونية وعلى ذلك تقوم العلاقات الإنسانية في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَجَعَ إِلَىٰ رَبِّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: 118-119]. وبناءً عليه لا يمكن أن يحصل اتفاق بين جميع الناس في الأفكار والتصورات فضلاً عن الدين، فينبغي أن يكون هذا الاحتلاف بينهم محفزاً للتعارف والتعاون والتكامل على المصالح المشتركة، ومن المعلوم أنّ الإسلام يقوم على التعارف والاعتراف الإيجابي بالآخر والتواصل والتقارب الذي يؤدي إلى التكامل بين أبناء الإنسانية عامة وأهل الكتاب بصورة خاصة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِٗ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ ۚ إِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ يَٰٓأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: 64]. فالله سبحانه أراد بين البشر التكامل مع الاختلاف، لحكمة أردادها في خلقه وسنن معاشهم؛ إذ لو كان الجميع على وتيرة واحدة ومستوى واحد لما احتاج بعضهم إلى بعض ولما تحقق بينهم هذا الترابط والتواصل.

ولا يعني مبدأ التعايش والائتلاف إطلاقاً الدعوة إلى تذويب الفوارق اللامتناهي بين المسلمين وغيرهم، وذلك لأن أول خطوة للإئتلاف الإنساني والتعايش معه هي تحديد الهوية المسلمة في إطار الثوابت الحضارية للأمة، ومن ثم يمكن الانطلاق في التفاعل مع الآخر والتعايش معه. فيها تتحدد الخصوصية -التي تعبر عن التنوع- الذي هو شرط التفاعل (التعايش) مع الذات ومع الآخر، وعلى أساس هذا التنوع يصبح للحقوق معنى وللواجبات مكان، وهما أصلان رئيسان من أصول قواعد التعامل في إطار التعايش، فإبراز الخصوصية بتحديد الهوية والتأكيد عليها يعني الرغبة في الحوار والتعاون أكثر مما يعني التوقع والانعزال¹

ثالثاً: حرية العقيدة والتعددية الدينية والفكرية:

لقد ذكر القرآن حقيقة كونية ممتدة ما بقيت البشرية، وهي استمرار تنوع العقائد والتوجهات والثقافات بين البشر على امتداد بقائهم على هذه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلضَّٰلِّينَ وَٱلْمُجْرِمِينَ أَشْرَكُواْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَٰهِدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج: 17]، مما يفرض ضرورة التعايش والتآلف بينهم مهما كانت هذه المعتقدات والافكار حتى تتحقق مقاصد وجود البشرية في هذه الحياة. وقد كفل الإسلام حرية

¹ ينظر: السيد، كل التراث الثقافي ومنظومته القيم والأعراف السائدة، نقلا من نوال السباعي، إشكالية التعايش بين الثوابت

والخصوصيات، ص4، بحث منشور في رابط <http://tourathtripoli.com/old/phocadownload/dirasset>

الاعتقاد للناس، حيث أعلن القرآن صراحة أنه لا يجبر أحداً على الدخول في دين لا يريده، فقال سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]. وقال: ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: 29]. ولا مجال لإكراه الغير في هذا الجانب مع ضرورة مواصلة الدعوة المقترنة بالاحترام فقال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99]. وقوله سبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: 6]؛ وفي هذا الإطار نجد أن الوحي قد اعترف بالمخالفين منذ أيامه الأولى، ولم ينتهج نهج الإذلال والإقصاء والتصفية لهم؛ بل خصهم بآيات تعبر عن توجهاتهم وأرائهم، فنزلت سور قرآنية سميت بأسماء بعضهم، مثل الكافرون وقريش والمنافون وغيرها.

وبناءً عليه فالأصل أن الاختلاف الحاصل عند الناس فيما يتعلق بالعقائد التي يتبنونها والثقافات التي ينتمون لها لا توجب الشحناء والتباغض؛ بل توجب التعايش والتآلف؛ إذ إن المسلم مأمور فقط بتبليغ دعوة الله للعالمين: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَاسٌ﴾ [الشورى: 48]، وليس له أن يحاسب أحداً لم يقبل الدعوة؛ فالحساب لصاحب المشيئة المطلقة يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٣٨] اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٣٩﴾ [الحج: 68-69] والهداية بيد الله تعالى وحده: عليك هداهم ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 272].

ولتجلية هذا الأمر بصورة أوضح يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256]: "أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام؛ فإنه بين واضح جلي في دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، فأكثر الكفار دخلوا في دين الإسلام بالاعتناع، وليس بالقوة، وكانت الحرب عندما يرفض الكفار تسليم بلدانهم للمسلمين، كان المسلمون يريدون البلدان لإقامة شرع الله فيها، وتحكيم الإسلام فيها، ودعوة الناس بالحسنى، فإذا قام ملك دون ملكه وسلطان دون سلطانه وكفار يمنعون المسلمين من الدخول لتحكيم الإسلام كان القتال يقوم، من أجل أن يُقام الدين، ﴿وَفَلْيَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُفَّ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٣٩] [الأنفال: 39] (1).

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 311/1.

ولأجل تحقيق مبدأ التآلف والتعايش المشترك الآمن بين الشعوب في المجتمع المسلم وغيره كفل الإسلام لأصحاب الملل الأخرى حرمة أماكن عبادتهم وجعلها أساساً للتآلف والتعايش الديني، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوْمُعٌ وَبِعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَّجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: 40]، جاء في تفسير هذه الآية: أي لولا دفع الله بعض الناس ببعض، بتسليط مؤمني هذه الأمة على كفارها لهدمت المتعبدات المذكورة، إلا أنه تعالى سلط المؤمنين على الكافرين فبقيت هذه المتعبدات بعضها للمؤمنين وبعضها لمن في حمايتهم من أهل الذمة⁽¹⁾، فهكذا يتضح أن صيانة أماكن العبادة وحرمة الشعائر الدينية للمسلمين وغير المسلمين من أسباب الإذن بالقتال؛ لينعم الجميع بحريتهم الدينية وألا تهدم عليهم أماكن عبادتهم من الملاحدة وأشباههم⁽²⁾.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن مبدأ التعايش مع المخالفين في الدين والتآلف بينهم في أمور المعاش لا يقتضي أو يوجب المحبة القلبية والظاهرية للكفر بالله، فقد نص القرآن على وجوب عبادة الواحد الصمد دون سواه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، فالمطلوب في ظل منهج التآلف والتعايش المشترك هو التواصل مع غير المسلمين ومعاملتهم بالحسنى ما داموا ليسوا من الأعداء المحاربين لله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ بَرَزُوهُمْ وَفُتِّسُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: 8] ولكن بشرط أمن الفتنة في الدين أو تغيير المعتقد أو الجنوح لمحبة الكفر والميل له؛ وذلك لأن حب المبدأ أو الفكرة أول خطوات قبولها والقناعة بها ثم العمل بها واتباعها سواء كانت خيراً أو شراً؛ لهذا حرم الله سبحانه محبة المعصية والظلم والكفر؛ لأنها من أسباب الفساد وانتشاره.

رابعاً: الحوار والتسامح:

إن التسامح هو شعاع الخير الذي انطلقت به الدعوة الإسلامية وما زال جواز العبور إلى القلوب والعقول لنشر الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة السماوية، وهو النهج الأصيل الذي قام على أساسه بنیان المجتمع المسلم في وسط مجتمع يستم بتنوع الأطياف والملل.

(1) الألوسي، 162/17.

(2) ينظر: العمر، حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، ص 226.

وقد أرسى القرآن الكريم مبادئ الحوار وآدابه ورسخ قواعد التسامح وطرقه دون أن يصادر حق الناس في الاختلاف، حيث يقول تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَجَعُ رَبُّكَ وَلِلَّذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119]، ولكنه اشترط الإحسان وآداب الحوار والتسامح حتى يؤدي إلى التفاهم وخل الخلافات ولا يثمر النزاعات والصراعات التي تفسد علاقات التعايش والتآلف، وتهدر فرص التواصل المطلوب وانتصار الحق المبين. قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۝﴾ [الإسراء: 53]، وفي سياق محاورة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ ۖ فَوَلَا إِنَّا لَعَلُّهُ بِتَذَكُّرٍ أَوْ يَخْشَى ۝﴾ [طه: 44]، وقد انتهت المحادثة أخيراً بانتصار الحق على الباطل والخير على الشر، وهذه ثمرة الحوار السليم الذي تنزع إليه الفطرة الإنسانية السليمة.

فالحوار المطلوب هو الذي يقوم على الصدق وتحري الحقيقة والتركيز على الجوامع المشتركة، لا على نقاط الاختلاف ويكون مبنياً على قاعدة من الموضوعية والحجج والبراهين التي تدمغ الباطل وتدحض الأكاذيب بروح التواضع والاحترام للآخر، وقد ساق لنا الحق سبحانه ألوأناً من المحاورات التي دارت بين الرسل والأنبياء وأقوامهم، وبين المصلحين والمفسدين الظالمين على مر العصور. وذكر من الشواهد والأسس التي تبين كذلك أدب الحوار مع المخالفين من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا ۖ آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ۝﴾ [العنكبوت: 46].

ومن جهة أخرى فإن الإسلام يحث على التحلي بالعفو والتمسك بالتسامح عندما يتعرض للإساءة من الآخرين ما يدفعه إلى التشاجر معهم أو مخاصمتهم ومقاطعتهم في كثير من الأحيان. فالعفو يعني التجاوز عن الإساءة والخطأ وترك العقاب، والتسامح يقصد به قبول أعذار الآخرين والبحث عن نقاط الاتفاق ورأب صدع الخلاف والشقاق. قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝﴾ [الشورى: 40].

والتسامح الديني مع أصحاب الملل الأخرى من المآثر التي انفردت بها الحضارة الإسلامية، وقد وضعه القرآن ركيزة أساسية في التعامل مع المسلمين بينهم، ومع غير المسلمين في حال إذا كانوا مسلمين ولم يتعرضوا لهم بالأذى والظلم والاضطهاد ولم يكن في غير ذل ولا تنازل عن ضروري في الدين، قال تعالى: ﴿لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُجِرْجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ [المتحنة: 8]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَحَرُوا لِنَاكِهَ فَاجْزَعْ لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝﴾ [الأنفال: 61]، وهكذا كانت معاملته ﷺ مع جميع الناس ومتسامحاً سهلاً ليناً يتعامل مع الآخرين بكل خلق ومحبة وصبر وصفح جميل، فلم يرد إساءة الآخرين له وأذاهم،

خامساً: قيم العدل والإحسان والرحمة:

لقد جاء الإسلام ليعزز التآلف الإنساني من خلال إقرار مبدأ العدل بين الناس وحتى وإن كانوا غير مسلمين؛ حتى يطمئن كل أحد إلى حقه وأنه لا يظلم في استيفاء حقوقه كاملة غير منقوصة في أي حال أو بأي سبب واعتبار، فالعدل جعله الله تعالى حقاً مشتركاً لجميع الإنسانية، لينعموا بحياة آمنة مستقرة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]

وجاء الأمر بالعدل في سياق الأمر بالحوار بين النبي ﷺ وأهل الكتاب حيث يقول الله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ ۖ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ [الشورى: 15]، وورد كذلك لعموم المسلمين مع غيرهم على الرغم من الكراهية التي قد تكون بينهم، بل أن ذلك أقرب إلى تقوى الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [المائدة: 8]، ولم يكن العدل في الإسلام نظرياً بل كان أمراً تطبيقياً جسدهته السنة النبوية وسير الصحابة والصالحين من بعده ﷺ، وقد نزلت آية قرآنية تبرئ ساحة اليهودي من سرقة درع اتهم بسرقتها في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۖ وَالْحَقُّ لَحَقُّكَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ ۚ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ۝﴾ [النساء: 105]، إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وََمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ ۚ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ۝﴾ [النساء: 113].

ولم يقتصر الأمر بوجوب العدل والقسط مع غير المسلمين وإنما يتعدى ذلك إلى البر والإحسان إليهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ لَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ إِنَّمَا يَهْدِيكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝﴾ [الممتحنة: 7-9]، بالإضافة إلى الأمر الإلهي بالحرص على خلق الرحمة مع الآخرين وما يحمله من معان عميقة من حب الخير والشفقة والمودة للآخرين لأجل عونهم في صلاح أمور دنياهم وأخراهم، وقد اختصرت في هذا الخُلق الرسالة السماوية التي بعث النبي محمد ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء: 107].

المطلب الثالث: مظاهر الإئتلاف الإنساني في الحضارة الإسلامية:

إن حالة التآلف والعيش المشترك بين المسلمين ومخالفهم من المشركين في عهد الدعوة المكية الذي امتد لمدة ثلاث عشرة سنة، ومع بعضهم ومع المخالفين لهم من أصحاب الملل الأخرى في العهد المدني الذي امتد لمدة عشر سنوات، المقررة في التوجيهات التي وردت في آيات القرآن الكريم والتطبيق العملي في السيرة النبوية حول العلاقة مع بعضهم والعلاقة بالمخالفين لهم وكيفية التعامل معهم، كل ذلك أدى إلى بناء منظومة قوية واضحة تجلي حقيقة المنهج الرباني في التعامل مع المخالفين والتعايش معهم، ويمكن الإشارة سريعا إلى بعض مظاهر ذلك التآلف الإنساني والتشريعات العملية التي تعضد مبدأ التعايش مع الآخر، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: التآلف بين المسلمين:

إن العلاقة التي تربط بين المسلمين فيما بينهم هي علاقة الأخوة في الله المبنية على المودة والمودة والرحمة والتي ترنو على أخوة الدم والنسب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 10]، وقد صورهم كالفرد الواحد والبنين المرصوص، قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"⁽¹⁾، وحتى إذا غاب أحدهم أخاه كأنه غاب نفسه: ﴿وَلَا تَمَرُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الحجرات: 11]. ومن مظاهر التآلف العميق بين المسلمين بعضهم التعاون والتكافل في الجوانب المادية والمعنوية، مما يستدعي نبذ الأثرة والفردية والتوازن في تحمل الواجبات والمسؤوليات والحقوق، ونحوها من مظاهر التعايش المبني على المودة والمحبة والأخوة الصادقة والتنافس في كريم الخصال المرتبطة بالجزاء الأخرى الذي يعد أعظم حافز في تحصيلها والتخلق بها.

ثانياً: التآلف بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الإسلامي:

لما هاجر الرسول ﷺ وأصحابه للمدينة، وكان أكثر أهلها وثنيين، وكان فيها قبائل من يهود وهم أهل كتاب ودين، فقد نظم النبي ﷺ مع كل تلك الملل والأقوام عقدا اجتماعيا يعد نموذجا مثاليا للتآلف والتعايش المشترك في مجتمع واحد؛ يتضمن تنظيما للحقوق والمسؤوليات المتبادلة والتعاون في حمل واجب حماية المدينة وقواعد متينة في التعامل مع الأحداث المتجددة المتعلقة بالحياة المشتركة بينهم، وبقي الأمر هكذا سنوات عديدة، وقد نزلت آيات قرآنية ونصوص نبوية

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب (البر والصلة والآداب)، باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم)، برقم (2586)، 4/1999.

تفصل في مبادئ وأحكام العيش المشترك مع أهل الذمة وأصحاب الملل والنحل الأخرى عموماً. كما عاش المسلمون في الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب وغيرهم من الممل في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها في جميع البلدان الإسلامية، وكانت بينهم وبين المسلمين صلات ومعاملات وتعايش مشترك.

ومن الأحكام الخاصة بعلاقة المسلمين مع أهل الكتاب والمشركون:

1. إباحة أكل طعام أهل الكتاب وإباحة طعامنا لهم، مع ما تقتضيه من إباحة المجالسة والمزاورة والتعامل وتبادل المصالح، وجاء النص القرآني في ذات السياق على إباحة زواج المسلم من المحصنات والعفيفات من أهل الكتاب؛ مما يدل على قوة الصلة بأهل الكتاب وفتح باب تداخل الأنساب والأرحام والتراحم والمودة بينهم. قال تعالى: ﴿أَيُّوَهُ أَهْلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة: 5]

2. قبول شهادة الكتابي والثقة بها في بعض الأمور، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ﴾ [المائدة: 106]. قال ابن عباس: (مَنْ غَيْرُكُمْ) أي من غير المسلمين، يعني أهل الكتاب⁽¹⁾.

3. استعمال أواني غير المسلمين وصنائعهم من أهل الكتاب والمشركون على حد سواء مع شرط التورع من النجاسات، فعن جابر رضي الله عنه قال: "كنا نغزو مع رسول الله ﷺ فنصيب من آنية المشركون وأسقيتهم، فنستمتع بها فلا يعيب ذلك عليهم"⁽²⁾.. فإن مياههم وثيابهم فهي على الطهارة كماء المسلمين وثيابهم إلا أن يكونوا من قوم لا يتحاشون النجاسات"⁽³⁾.

4. عيادة مريضهم، وهي من البر والقسط، فعن أنس رضي الله عنه أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال له: "أسلم فأسلم"⁽⁴⁾.

5. مواراة موتاهم والقيام لجنازتهم وتعزيتهم، كما جاء في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ: إن عمك الشيخ الضال مات فمن يواريه؟ قال: اذهب فوار أباك ولا تحدثن حدثاً

(1) ينظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، 2/ 112.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب (الأطعمة)، باب (الأكل في آنية أهل الكتاب)، برقم (3838)، 3/ 363.

(3) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، 10/ 224.

(4) أخرجه البخاري، في كتاب (المرضى)، باب (عيادة المشرک)، برقم (5333)، 5/ 2142.

- حتى تأتي. فواريته ثم جئت، فأمرني فاغتسلت ودعا لي"⁽¹⁾. وكان ﷺ إذا مرت عليه جنازة قام لها ولو كانت لغير مسلم، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: مر بنا جنازة، فقام لها النبي ﷺ فقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي. قال: أليست نفسا؟! "⁽²⁾.
6. الوفاء بعهدهم. وهو مبدأ إسلامي متين ويكون حتى لغير المسلمين، فقد قال ﷺ: "من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدا ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء"⁽³⁾.
7. قبول هدايا غير المسلمين، وتبادل النبي ﷺ ذلك معهم، علي بن أبي طالب ﷺ: قال أهدى كسرى إلى رسول الله ﷺ فقبل منه، وأهدى قيصر إلى رسول الله ﷺ فقبل منه، وأهدت له الملوك فقبل منهم، قال الشافعي:
- قد أهدى أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ أدما فقبل منه، وأهدى إليه صاحب الإسكندرية مارية أم إبراهيم فقبلها وغيرهما قد أهدى إليه"⁽⁴⁾.
8. الصدقة عليهم، حيث قال ﷺ: "في كل كبد رطبة أجر"⁽⁵⁾. أي المسلم وغير المسلم، حتى الحيوان. وعن سعيد بن المسيب: أن رسول الله ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم"⁽⁶⁾.
9. ومنها: دخولهم المسجد، فقد كانت تأتي الوفود من المشركين من العرب والنصارى واليهود إلى رسول الله ﷺ ويدخلون المسجد وينزلون فيه، كما قصة وفد ثقيف، قال ابن القيم: "وفيها جواز إنزال المشرك في المسجد، ولا سيما إذا كان يرجى إسلامه، وتمكينه من سماع القرآن ومشاهدة أهل الإسلام وعبادتهم"⁽⁷⁾.
10. فهذه الأدلة وغيرها من أحكام البيوع والمعاملات والإيجارات والشركات دالة على مبدأ التعايش بين المسلم وغير المسلم والمخالطة له والتعامل معه في جميع أمور المعاملات الحياتية بمختلف مجالاتها.

⁽¹⁾ أخرجه أبو داود في كتاب (الجنائز)، باب (الرجل يموت له قرابة مشرك)، برقم (3214)، 3/ 214.

⁽²⁾ أخرجه البخاري في كتاب (الجنائز)، باب (من قام لجنازة يهودي)، برقم (1249)، 1/ 441؛ وأخرجه مسلم في كتاب (الجنائز)، باب (القيام للجنازة)، برقم (961)، 2/ 661.

⁽³⁾ أخرجه الترمذي في كتاب (السير)، باب (ما جاء في الغدر)، برقم (1580)، 4/ 143.

⁽⁴⁾ أخرجه البيهقي في كتاب (الجزية)، باب (ما جاء في هدايا المشركين للإمام)، برقم (18572)، 9/ 215.

⁽⁵⁾ أخرجه البخاري في كتاب (المساقاة والشرب)، باب (فضل سقي الماء)، برقم (2234)، 2/ 833؛ وأخرجه مسلم في كتاب (السلام)، باب (فضل سقي الهائم المحترمة وإطعامها)، برقم (2244)، 4/ 1761.

⁽⁶⁾ ابن سلام، كتاب الأموال، في باب (إعطاء أهل الذمة من الصدقة وما يجزى من ذلك مما لا يجزى)، برقم (1993)، 1/ 728.

⁽⁷⁾ الزرعي، زاد المعاد، 3/ 601.

ثالثاً: تألف المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى:

يتمثل التعايش المؤتلف بين المسلمين وغيرهم من مجتمعات أخرى غير المجتمع المسلم في حالة السلم الذي يدعو إليه الإسلام ويتطلع إليه من خلال تعاليمه ونصوصه المحكمة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 208]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]، ومعنى الآية أي إن مالوا إلى المسالمة وهي طلب السلامة من الحرب فسالهم وأقبل ذلك⁽¹⁾.

فالمسلم يحرص على السلم ويؤثره على الحرب والقتال إلا لضرورة مستحكمة ومصلحة أعظم كإحقاق الحق ومنع الظلم ودفع العدوان ونصرة المظلوم؛ فإن السلم مبدأ أصيل في الإسلام ومشتق من السلم والأمان والسكينة والاطمئنان، ويدعو إلى نبذ العنف ومنع العدوان بكل أشكاله. ومن القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين المجتمعات واستقرار شعوبها هو الوفاء بالعقود والعهود ومنع العدوان وإقامة العدل والإنصاف ودفع الظلم وإيثار السلم على الحرب إلا لضرورة وفي حالات محدودة.

ويجدر الإشارة إلى أن تعايش المسلمين مع غيرهم من المجتمعات الأخرى لا يعني الخضوع والاستسلام المطلق لهم وقبول العدوان والاستسلام للظلم والفساد ومنع إقامة الدين أو الإكراه على مخالفة شيء من الدين أو استباحة محارمه. ولكنه يعني مد جسور التواصل وتوطيد العلاقات بين المجتمعات الأخرى بالإرادة الحرة النابعة من القناعة والرضى، بدافع أخذ الحق وتبادل المصالح وتنمية القواسم المشتركة التي تعود بالنفع على المسلمين وغيرهم في الميادين المختلفة، وذلك بالحوار البناء وعقد الاتفاقيات والمعاهدات والالتزام بها وبالقيم الإنسانية التي يلتقي حولها الناس مهما اختلفت ألسنتهم وألوانهم، دون بغي أو ظلم أو نهب للخيرات وانتهاك الحرمات، ولا يلجأ للحرب إلا في حالات محددة وضحا الفقهاء كالدفاع عن النفس والمال والعرض والذود عن الوطن والمقدسات⁽²⁾، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

(1) الجصاص، أحكام القرآن، 4/254.

(2) ينظر: رشيدة، التعايش السلي في القرآن الكريم، ص 227-228.

المبحث الثالث: المؤتلف الإنساني في التجربة الحضارية العمانية..

تأصيل تاريخي مقاصدي:

إن التجربة العمانية الحضارية في المؤتلف الإنساني جديرة بالاهتمام وسبر أعماقها لأجل التعرف عليها عن قرب، وتجلية المنطلقات والركائز التي مكنتها من تحقيقه، مما يقتضي التعرّيج على جهود العُمانيين في نشر التسامح والمؤتلف الإنساني على امتداد حضارتهم العريقة في الماضي والحاضر. وسيتم بحث ذلك بصورة موجزة تحت المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول: مظاهر المؤتلف الإنساني في التجربة العمانية:

إن مظاهر الإئتلاف الإنساني في عمان تتمثل في مستويين داخلي وخارجي يمكن بيانهما على النحو الآتي:

أولاً: مظاهر المؤتلف الإنساني العماني على المستوى الداخلي:

اشتهرت عمان بوحدة وطنية واستقرار شعبي ورسّي يقوم على قيم التفاهم والانفتاح والتعايش بين مختلف أطرافه وتوجهاته، وقد ظل ماثلاً في كل حقب التاريخ، وسجله الرحالة من مختلف الأديان والثقافات في مذكراتهم وكتبهم، وفي فترات زمنية مختلفة⁽¹⁾، ومن بينها شهادة الطبيب البريطاني بول هاريسون (عاش في عمان بين 1928-1938م)، إذ انهر بهذه الأخلاق فألف كتابه "رحلة طبيب في الجزيرة العربية" ليعرف المجتمع العماني بجملة واحدة "عمان بلد التسامح والكرم".

إن المجتمع العماني شهد خلق بيئة من الثقة بين كل المجموعات الدينية والمذهبية فيها، والتي تتكون من المذاهب السنية الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية وإلى جانب المذهب الإباضي⁽²⁾، وذلك من خلال استيعاب التنوع المذهبي هذا والحفاظ على وحدة المجتمع من التصادم والصراع؛ فأتباع جميع المذاهب الفقهية يصلون مع بعضهم في مسجد واحد ويؤم بعضهم بعضاً على اختلاف مذاهبهم الفقهية ويتزاجون ويتشاركون ويتعايشون في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية في انسجام ووافق تام بلا تصادم أو إقصاء لبعضهم. ويشكل المذهب السني في عُمان نحو 50% من إجمالي السكان البالغ عددهم نحو 4.6 مليون نسمة (حوالي 46% منهم وافدون وأجانب)، بينما يشكل المذهب الإباضي (نحو 45%)، ويعد المذهب الرسمي للدولة وللعائلة الحاكمة، في حين يشكل الشيعة والهندوس أقلية تُقدر نسبتها بنحو 5%⁽³⁾، وتتوفر لهم

(1) للاستزادة ينظر: الحسيني، التسامح والمودة وكرم الضيافة التي لقيها الرحالة الأوروبيون والأمريكان الذين زاروا عُمان في القرنين 19 و20

(2) ينظر: جنكيز خان، عمان السلطان قابوس: مثلاً للتعايش بين المذاهب الإسلامية والعالم.

(3) بحسب جون بيترسون (باحث غربي في الشؤون العمانية) في بحثه (المجتمع المتنوع في عمان).

أماكن خاصة لممارسة عبادتهم وطقوسهم الدينية، وتذكر المراجع التاريخية أنه قد عاشت أجناس غير مسلمة في عمان سابقا وخاصة في صحار لم يمسسها سوء ولا إكراه على معتقد ولا تشريد ولا طرد⁽¹⁾. ومما يدل بوضوح أن سلطنة عمان منذ القدم كانت تؤمن بأهمية التسامح المذهبي وضرورة التلاحم بين الأطياف الفكرية المتنوعة في عمان أن السيد سعيد بن سلطان عين أول مبعوث عربي في الولايات المتحدة الأمريكية وهو أحمد بن التّعمان الكعبي عام 1840م⁽²⁾، وكان مختلف المذهب عن السائد في الدولة⁽³⁾.

ومظاهر العيش المشترك في تدبير أمور السياسة والحكم عند العمانيين في عهد الأئمة والسلطين تتجلى في صور كثيرة منها: أنه لم يُؤثر أي صدام مسلح في عمان مبني على أسس مذهبية أو فكرية إلا ما كانت من جهاد الخوارج الوهابية أو جهاد للمستعمرين، وإنما كانت رعى الحرب تدور مبنية على اعتبارات قبلية، وحرص ولاة الأمر على وأد ما يشق الصف ويفرق الكلم...⁽⁴⁾.

ثانياً: مظاهر المؤتلف الإنساني العماني على المستوى الخارجي:

من شواهد التاريخ على تسامح العمانيين واحترام رعاياهم وعدم الإكراه على اعتناق الإسلام أحداث جزيرة سقطرى -وهي بعض ممالك الامبراطورية العمانية آنذاك-⁽⁵⁾، ولولا نقض طرف من الأطراف العهد لما سار جيش الإمام الصلت بن مالك الخروصي⁽⁶⁾، لكنه توجه إليها لتسكين فتنة وإخماد تمرد حراسة لسلامة العرض والأرض، وزودهم بوصية طويلة فيها مبادئ الدين الحنيف وخصال الأخلاق الكريمة في الحرب من مراعاة لحقوق البشر والتعامل مع المعتدين بالعدل والإنصاف وإن كانوا من ملة أخرى، ويمكن اعتبارها وثيقة من أرق الوثائق الدولية في الشؤون الدولية وخاصة في كيفية محاربة الأعداء والإنذار إليهم ومعاملتهم بالحسنى إن استجابوا للحق ودعوتهم لقبول العهد منهم إن أبوا... ونحوها من التفاصيل المهمة في هذا السياق، مما كان له الأثر في الانتصار وعودة سقطرى إلى حظيرة العدل وانتشار الإسلام الواسع بين أهلها⁽⁷⁾.

(1) للاستزادة راجع: وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان، مجلة الدراسات العمانية.

(2) البوسعيدى، الرائع في التاريخ العماني، 1/ 171.

(3) العماني، عمان التعايش، مقال منشور في جريدة الرؤية، رابط <https://alroya.om/post/239828>.

(4) للاستزادة في صور التعايش المشترك عند الأئمة والسلطين العمانيين قديما راجع: الأغري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص 145-199.

(5) ينظر: السيبي، عمان عبر التاريخ، 2/ 105.

(6) الإمام الصلت بن مالك الخروصي البحمدي الأردى من أشهر أئمة عمان في القرن الثالث الهجري استمر في الحكم بالعدل 35 عاما، كانت الدولة في عصره تنعم بالرخاء وقوية من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ينظر السيبي، عمان عبر التاريخ، 2/ 102-110؛ البوسعيدى، الرائع في التاريخ العماني، 1/ 289-282.

(7) ينظر القصة التاريخية كاملة وتحليلها في: السيبي، عمان عبر التاريخ، 2/ 105-109؛ الخليلى، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ص 249-258؛ البار، معاملة غير المسلمين، الحوار والتسامح في الإسلام، شواهد من التاريخ، ص 96-98.

وعلى مر العصور عرفت سلطنة عُمان بأنها صاحبة نموذج مميز من التعايش والوفاق من ناحية الوثام والحياد اللذين تسلكهما مع جيرانها والمحيط الإقليمي الأوسع نطاقاً، وقد نجحت في النأي بنفسها عن الانقسامات الإقليمية بوجهيها الديني والسياسي.

ولذلك على مدار عقود لعبت عُمان الكثير من الأدوار الدبلوماسية المؤثرة والتي قدمتها كنموذج محايد وطرف إيجابي فاعل في حل الأزمات السياسية في منطقة مليئة بالتجاذبات السياسية والتحالفات، وقد نالت بذلك إعجاب الدول وثقة المنظمات الدولية وعلى لسان الأمين العام للأمم المتحدة تكرر تقرير صواب الموقف السياسي للسلطن، وقد صرح الأمين العام لجامعة الدول العرب بأن: "الدبلوماسية العمانية المتوازنة، لها دور مهم في عدد من الملفات الإقليمية".

وفي إطار التقارير الدولية صُنفت سلطنة عمان بين دول العالم التي تتمتع بدرجة عالية من السلام الإيجابي، وفقاً لتقرير السلام الإيجابي العالمي لعام 2022، الصادر عن معهد الاقتصاد والسلام بسيدني في أستراليا، وتقدمت السلطنة 3 مراكز في مؤشر هذا العام 2022، وحصلت على المركز 55 عالمياً⁽¹⁾، بالإضافة إلى أن قيم التسامح والتعايش كانت سبباً رئيسياً في حصول السلطنة وفقاً لمؤشر الإرهاب العالمي لعام 2014م على درجة بلغت «صفر» من 10 نقاط، كما أنها بادرت بالتوقيع على الاتفاقية الدولية لمنع تمويل الإرهاب في عام 2011، فضلاً عن إنشاء السلطنة نظاماً لمكافحة تبيض الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب في عام 2002 بموجب مرسوم سلطاني⁽²⁾، ومما يشهد لعمان في هذا الجانب ابتعادها عن الاستقطابات والحاضنات التي تشكل بؤراً ينب فيها الإرهاب حتى خلت المنظمات الإرهابية من أيّ منتسب عُماني.

⁽¹⁾ جريدة أثير المحلية الالكترونية بسلطنة عمان، رابط <https://www.atheer.om/archives/583191>

⁽²⁾ جريدة الرؤية المحلية بسلطنة عمان، رابط <https://alroya.om/post/219304>

المطلب الثاني: منطلقات المؤتلف الإنساني في التجربة العمانية ومركزاته:

إن البحث عن منطلقات أنموذج الإئتلاف الإنساني في عُمان وركائزه هو باب واسع كبير يضيق مقام هذه الوريقات المحدودة عن بيانه مفصلاً، وقد عنيت به بعض دراسات المهتمين وتحليلات المختصين⁽¹⁾، ويمكن تلخيص المرتكزات والعوامل التي هيأت للمؤتلف الإنساني الأرضية الصلبة التي تأسس عليها منذ القدم وكفلت رسوخ بنيانه إلى وقتنا الحاضر في عدة أمور، تتوزع في أصل منشئها بين طبيعة المجتمع أو كونه الخيار الاستراتيجي أو الحتمي للدولة، ويمكن بيانها على النحو الآتي⁽²⁾:

أولاً: الموقع الجغرافي:

بحكم الموقع الاستراتيجي لسلطنة عمان الذي تطل من خلاله على ثلاثة بحار (بحر العرب، بحر عمان والخليج العربي)، وتمتد سواحلها على أكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر من مضيق هرمز، مما أتاح لها الإنفتاح على العالم الخارجي وفتح قنوات التواصل السياسي والاقتصادي والثقافي مع شعوبها ومن زاوية أخرى فإن هذا الموقع الجغرافي جعلها تقع في واحدة من أهم وأخطر مناطق الخليج ومنطقة الشرق الأوسط، مما يحتم عليها الحنكة والحكمة في ضرورة بناء علاقات طيبة من التعاون والصداقة مع مجموعة واسعة من الدول المطلة عليها والمجاورة لها، عبر الخليج وفي الشرق الأوسط وعبر المحيط الهندي وفي الغرب وفي آسيا. ومن جانب آخر فإن مضيق هرمز الذي تشرف عليه يعتبر ممراً مائياً حيوياً للعالم بأسره؛ لذلك فإن حمايته من أن يتأثر بالصراعات يعتبر مسؤولية مهمة، وبناءً عليه تسعى سلطنة عمان جاهدة للمحافظة على اتصالات دائمة وعلاقات سلمية جيدة مع جميع الأطراف وفي جميع الأوقات؛ حرصاً على أمن الشعوب والثقافات والجغرافيا والمصالح المشتركة بين الجيران والإنسانية جمعاء⁽³⁾.

(1) من أحدث الدراسات المتخصصة الجيدة في النسيج الاجتماعي العُماني ومنطلقات التألف فيه وعوامله دراسة أكاديمية بعنوان (عُمان السُلطان قابوس.. مثالا للتعايش بين المذاهب الإسلامية والعالم)، أعدتها الباحثة التركية خديجة جنكيز، ارتأت خلالها الإقامة لأشهر كاملة في سلطنة عُمان من أجل الاطلاع الميداني عن كتب والتحقق من وجود التعايش الواقعي في إطار توافقي بين المذاهب والأديان فيها، واجهت في البحث والتقصي. ينظر: خديجة جنكيز خان، عمان السلطان قابوس: مثالا للتعايش بين المذاهب الإسلامية والعالم.

(2) نظراً لفلة الكتب المطبوعة التي وقفت عليها في هذا الجانب يمكن الاستزادة بمراجعة المقالات الآتية: أحمد يوسف، التعايش في عُمان.. إشكاليات ما بعد الحداثة لم تدخل البلاد، مقابلة مع الشيخ عبدالله الشحري، 2022م، وكالة الأناضول، رابط <https://www.aa.com.tr/ar>: التعايش في عُمان.. كيف حافظ البلد الخليجي على وحدته رغم تغوّل الاستقطاب على المنطقة، موقع عربي بوست، رابط <https://arabicpost.ne>؛ العُماني، عمان التعايش، جريدة الرؤية، رابط <https://alroya.om/post/239828>؛ عباس الجمري، عُمان المُتسامحة والمُخايدة: طبيعة مجتمع أم خيـاُر دولة، موقع البيت الخليجي للدراسات، رابط <https://gulfhouse.org/posts/3720>؛ آدم يي، رغم التنوع المذهبي.. 3 خطوات ساعدت على التعايش المجتمعي بعمان، صحيفة الاستقلال رابط <https://www.alestiklal.net/ar/view/3900/dep-news->

(3) ينظر: موقع وزارة الخارجية العمانية الالكتروني، رابط <https://fm.gov.om/policy-ar/principles-ar/>.

ومن زاوية أخرى حسب تحليلات بعض المختصين النفسيين في أن الموقع الجغرافي لعمان الذي أوجدها بين حضارتي الفرس واليمن العظيميتين مكّنها من الاستفادة من مزاياها بلا عيوبها، فأخذت منها التحضر دون العنف، فهذا البعد الجغرافي أثر في بناء سيكلوجية الإنسان العماني التي اتسمت بالسكون والهدوء والسلم والتصالح مع الذات والآخر، فتدفقه لقبول الآخر والتفاعل معه بلا خوف، بسبب إحساسه العميق بالاطمئنان الداخلي بذاته الذي جعل عنده قوة نفسية وانكفاء ذاتي عميق مكّنه من التفاعل الإيجابي المطمئن مع الغير بلا شطط. يضاف إليه البعد الجغرافي لتضاريس السلطنة التي تتميز بسواحلها الممتدة، فكلما كانت البلاد أقرب للبحار من الصحاري والجبال كلما كانت أنعم نفوساً، وخاصة أن عمان تعاقبت عليها الحضارات الماضية وكانت محط بين حضارة شرقية وغربية يقف الناس فيها ليتزودوا، مما أتاح مصدر رزق لأهلها، وكان مطلب تجاري منهم أن يحسنوا التعامل بالإضافة إلى الطبيعة البشرية التي جبلوا عليها من الخلق الكريم، فهكذا اجتمع الهدف التجاري مع الطبيعة الشخصية العمانية ورسم نموذجاً راقياً من التعايش والتآلف¹.

ثانياً: التركيبة السكانية:

تشكل المجتمع العماني من خلال الهجرات الكثيفة منذ التاريخ القديم، ولذلك عرفت عمان التنوع المذهبي والديني والعرقى والقبلي على مر العصور. ويعتق سكان عمان الديانة الإسلامية التي تتعايش بسلام مع عدد من الديانات الأخرى كالمسيحية والبوذية والهندوسية وغيرها. واستطاع العمانيون بثقافة التسامح التي تجنح لقبول الآخر الاعتراف بهم والاندماج الإيجابي معه؛ مما أكسبهم خبرة عميقة ومراساً ناضجاً في التعامل مع هذا الواقع، رسخت لديهم شعوراً بضرورة الإئتلاف والتعايش وتقبل الآخر وخاصة وهم يعيشون في وسط منطقة مشتعلة بالصراعات المذهبية.

وفي العصر الحاضر ووفقاً لأحدث الإحصائيات السكانية لعام 2018م، يعيش في عمان بمزيج من التآلف والتعايش الإنساني ما يقارب من 4 ملايين و900 ألف مواطن ومقيم، يمثل الوافدون بمختلف أعراقهم وجنسياتهم ودياناتهم ما مجموعه 45% من تعداد السكان.

¹ ينظر: طارق الحبيب، ماذا رأيت في الإنسان العماني، لقاء تلفزيوني في برنامج أنت كما تريد، في قناة عمان العامة. مقطع فيديو في رابط <https://www.youtube.com/>

ثالثاً: التاريخ العماني:

كما هو معلوم أن التاريخ يعد محورا من محاور الهوية، يمد الأمة بمعطيات ضرورية لبناء الذات وتوجهاتها للمستقبل، ويوجه الفرد إلى القيم العليا والمثل السامية. وتتميز السلطنة بتراث حضاري وتاريخي عريق يمتد لأكثر من 5000 عام ويزخر بثقافة متأصلة وموروثات أصيلة أثرت في بناء وتكوين الفرد والمجتمع، وذلك بسبب نشاطها التجاري الواسع وعلاقاتها الممتدة مع بلاد العالم المختلفة، وكان للعمانيين نفوذ واسع في شرق القارة وغربها بل وفي القارة الأفريقية أيضا، حين اتخذت من زنجبار عاصمة لها، كما يضرب بها المثل في بطولاتها البحرية والبرية عبر التاريخ، وليس أدل من ذلك إلا حين طردت البرتغاليين من أراضيها وحازت استقلالها. والتاريخ العماني يزخر بالعديد من الإنجازات والثروات الفكرية التي أسهمت في بناء الانسان العُماني وتكوينه⁽¹⁾.

وصفحات التاريخ تلك حافلة بالمواقف والشواهد في مخالطة العمانيين لكثير من الحضارات بحكم الموقع الجغرافي لعمان، وكذلك انصهار الهجرات الآسيوية والإفريقية في المجتمع العماني، وعيش الأجناس غير المسلمة بينهم في ظل التسامح والتعايش لم يمسخهم سوء ولا إكراه ولا تشريد ولا طرد⁽²⁾.

رابعاً: المذهب الإباضي:

المذهب الإباضي⁽³⁾ هو المذهب الشائع في سلطنة عمان بالإضافة إلى المذهب السني والشيعة، وقد تم انتخاب أول إمام إباضي في عُمان في عام 132هـ، وهو الجلندي بن مسعود مستقلا عن أي سلطة حاكمة⁽⁴⁾، وتوالى الأئمة والسلاطين على حكم عمان بهذا النهج وعاش معهم أهل السنة والشيعة في وئام وانسجام، وغيرهم من أهل الأديان الأخرى بكل احترام وتقدير. ولما كانت فلسفة المدرسة الإباضية قائمة على قاعدة التسامح الديني والبعد عن الفتنة والنأي عن الصراعات؛ فإن هذا جعل العمانيين بعيدين عن التقلبات السياسية في العصر الإسلامي الأول، وكونوا لأنفسهم مجتمعات متماسكة بعيدة عن بؤر الصراع والتوتر، وجعلوا لهم بعدا حضاريا في التواصل مع العالم والاتصال بالثقافات تأثرا وتأثيرا⁽⁵⁾.

(1) ينظر: الموقع الرسمي عماننا، رابط <https://www.oman.om/wps/portal/index/tt/aboutoman>؛ البرسعيد، الرائع في التاريخ العماني، 204/1.

(2) ينظر: السبائي، عمان عبر التاريخ، 73-67/1.

(3) الإباضية هي من المذاهب الإسلامية، تنسب إلى المتحدث السياسي عنها في بداية نشأتها عبد الله بن إباض التميمي، ومؤسسها الحقيقي هو التابعي جابر بن زيد، وهو من أخص تلاميذ عبد الله بن عباس، وتنتشر الإباضية في سلطنة عُمان وفي جبل نفوسة وفي زوارة في ليبيا ووادي مزاب في الجزائر وجربة في تونس وبعض المناطق في شمال أفريقيا وزنجبار. ينظر: أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، ص 54.

(4) السبائي، عمان عبر التاريخ، 227/1.

(5) ينظر: موقع وزارة الأوقاف والسؤون الدينية بسلطنة عمان، رابط <https://www.mara.om/ar/arwdt-tqdemett>.

ومما لا شك فيه أن مبدأ الإمامة في الفكر السياسي الإباضي كان من أهم العوامل التي أمنت بيئة السلم الاجتماعي والاحترام والتسامح المذهبي والديني، وخاصة ارتباط الإمامة بالاختيار الشوري للإمام العادل، فجعلت عمان بمنأى عن التأثيرات السلبية لعواصم الخلافة التاريخية. وكذلك المبادئ الأساسية التي قامت عليها الحركة الإباضية في التعامل مع السلطة الحاكمة، وهي: مبدأ المرونة والإعتدال كمبدأ أساسي في محاكمتها للأمور فرفضت مهاجمة أية جماعة أو الدخول في حرب ضد أي طرف آخر إلا في حال تعرضها للعدوان، ومبدأ تفضيل العمل السلمي والسري لنشر المذهب، ومبدأ رفض الخروج على الإمام العادل الذي يطبق الشريعة الإسلامية⁽¹⁾.

ولذا عرف الإباضية عند العلماء المنصفين بالاعتدال والوسطية، وإن كانوا يصنفون ضمن الخوارج وفق معايير أهل السنة والجماعة، قال عنهم الشيخ محمد أبو زهرة: "إنهم (الإباضية) أكثر الخوارج اعتدالا، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولهم فقه جيد، وفهم علماء ممتازون"⁽²⁾.

وفي لفظة مهمة في ضوء المراحل التاريخية التي مر بها تأسيس المدرسة الفكرية الإباضية يمكن ملاحظة حجم الإقصاء التاريخي الذي تعرضت له في تلك الحقبة، وهذا الأمر يحمل جانباً إيجابياً وهو أنه كان سبباً في ارتقاء فكرهم وتبنيهم مبدأ تقبل الآخر والاعتراف به؛ رغبة منهم في عدم تعرض الآخرين لما تعرضوا له من معاناة الإقصاء وعدم الاعتراف به. ولعل أصدق ما يترجم هذا المبدأ هو النظرية التي تبناها الإباضية ونادوا بتطبيقها وهي (نظرية المعرفة والتعارف ثم الاعتراف)⁽³⁾. وقد تبين للدارسين المنصفين أن من أسباب بقاء الإباضية -فيم انقرضت الفرق الأخرى- اعتدالهم وتسامحهم ومرونتهم الفكرية والدعوية مع الخصم والمخالف، وكل مواقفهم التاريخية ورؤاهم الفكرية وأصولهم العقدية تشهد لهم بذلك⁽⁴⁾.

ومن جانب آخر يلاحظ تجلّي تسامح الإباضية العمانيين وقبولهم للآخر وتحوارهم معه في نشوء الفقه المقارن منذ وقت مبكر، وإنصافهم لعلماء المذاهب الأخرى لهم واتباع الحق المبني على الحجة والبرهان ولو كان عند الآخر، فكانت مصنفاتهم الفقهية كجامع ابن بركة ومؤلفات أبي نيهان وزيادات أبي سعيد الكدومي على الإشراف للنيسابوري وغيرها خير برهان على تمازج آراء

(1) ينظر: البوسعيد، الراحل في التاريخ العماني، 227/2.

(2) أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، 70-69/2.

(3) صرح بها وألح عليها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص5: انطلاقاً من إحساسه بواقع الأمة والأثر السلبي الذي خلفه كتاب الفرق والمقالات على الأمة الإسلامية؛ إذ كتبوا عن أقوام ونسبوا إليهم ما هم منه براء كما فعلوا مع الإباضية وكانت كتبهم مصادر للآخرين. ينظر: الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص233.

(4) ينظر: ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ص257-265.

المدارس الفقهية والتسامح وعدم الإقصاء⁽¹⁾. ومن زاوية أخرى يمكن ملاحظة تضمن موسوعاتهم الفقهية أبواباً واسعة تعنى بالتفصيل في أحكام التعامل بين المسلمين وغيرهم بروح التفاعل الإيجابي والتعايش السلمي⁽²⁾. وكذلك ما زخرت به من فتاوى وفروع تفصيلية في أبواب العقائد والفقه المختلفة، مثل عدم تكفير المخالف المتأول من أهل القبلة، وتحريم لعن وشتم المخالف، وجواز الصلاة خلف المخالف في المذهب، وعدم بطلان الصلاة بالقنوت، وجواز تزويجهم وتوكيل المخالف في عقد الزواج... وغيرها، والقاعدة تقول (خلاف المخالف لنا لا يقدر شينا في فروع الشريعة وفضائل العبادات)⁽³⁾.

ومن البديهي بناء على ما تأسس من فكر المدرسة الإباضية الذي يعتنق مبدأ التسامح والعيش السلمي، فمع بزوغ النهضة العمانية الجديدة بتولي السلطان قابوس بن سعيد دفة الحكم فيها منذ عام 1970م، تفاعلت المدرسة الإباضية بكل انسيابية ومرونة مع المعطيات المستجدة، فحدثت لها تحولات جذرية حيث انتقلت من مفهوم الدولة (السياسي) إلى مفهوم الجماعة (الديني والاجتماعي).

خامساً: المرجعية العلمية:

إن المرجعيات العلمية في السلطنة وفي مقدمتها سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي - المفتي العام لسلطنة عمان - ومن قبله ممن تبوأ هذا المنصب الديني، ومن عاصره من العلماء بمختلف طوائفهم ومذاهبهم، تشكل بثقلها الاجتماعي والمركزي ركيزة محورية مؤثرة في ترسخ ثقافة الوحدة والتسامح في السلطنة في ظل التصادم المذهبي والطائفي الكبير الذي يشهده العالم الإسلامي، وما أثمرته من تحقيق للانسجام والتلاحم المجتمعي والتعايش المذهبي⁽⁴⁾.

فإن واقع الحال والبرهان يدل على أن هذا الأمر معقود على ناصية العلماء والمرجعيات الدينية، فيترسخ في المجتمع ثقافة ومنهجاً عملياً متى ما كان للعالم دور فاعل في نشر تعاليم السَّماء النقية بعلم وحكمة وبصيرة مع وجود المعرفة العلمية الجيدة بالشريعة الإسلامية والفهم العميق للمقاصد الكلية للشريعة، والحرص على بث معاني المحبة والألفة والأخوة والتراحم بين المسلمين ومع الإنسانية جمعاء.

(1) للاستزادة حول هذا المنهج والتفريعات الفقهية فيه تراجع: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ندوة تطور العلوم الفقهية بعنوان (التأليف الموسوعي والفقه المقارن): الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص 104-109.

(2) لمراجعة تأصيل هذا المنهج وحضوره في المصنفات الفقهية الإباضية فيه تراجع، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: ندوة تطور العلوم الفقهية بعنوان (فقه رؤية العالم والعيش المشترك - المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة)، ص 341-431.

(3) السبائي، فصل الخطاب، 1/ 106.

(4) للاستزادة في هذا الجانب والاطلاع على فيض من صور تسامح المرجعية الدينية ودعوته المستمرة للوحدة الوطنية وللحمة المجتمعية والتواصل العلمي والثقافي مع المدارس الأخرى وانفتاحه عليها، ينظر: الأغبري، الإباضية ص 98 وما بعدها، وص 250-263.

سادساً: الحياد المذهبي للمؤسسة الدينية، وضبط الخطاب الديني:

انطلاقاً من منهج المرجعية الدينية في بناء اللحمة الوطنية والعلاقات المجتمعية على التسامح، وتنفيذاً للرؤية الوطنية الحكيمة للقيادة الرشيدة في السلطنة في ترسيخ التعايش والتآلف المجتمعي نجد أن المؤسسة الدينية (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية) تقوم على استراتيجية الحياد الديني والمذهبي، فمن اختصاصاتها الرعاية الدينية للمسلمين وغيرهم بكافة أشكالها، وتسعى لتعزيز المشاركة في الحوار بين الأديان من خلال التأكيد على التسامح الديني والتفاهم المشترك والتعايش السلمي، وتتضمن هذه الأنشطة العديد من الاجتماعات الدولية والمعارض والمحاضرات والمنشورات ودعم المعاهد والمبادرات والأنشطة الدينية، ولها علاقات واسعة مع المنظمات والمعاهد العالمية من أجل تعزيز حرية الأديان.

وفي جانب الإشراف على الخطاب الديني وتنظيمه، تقوم المؤسسة الدينية برسم استراتيجيتها وتوجهاتها بما يتلاءم مع تحقيق تلك الرؤية، فتشدد في ضبط الخطاب الديني وترشيده في إطار الاحترام للغير ونبذ التعصب المذهبي والطائفي، وتفعّل البرامج التي تبث مبادئ التسامح الديني وتوضح القيم الإسلامية الحنيفة، وتطور منظومة المساجد في أنحاء السلطنة بصورة عادلة متزنة، فضلاً عن استثمار أموال الأوقاف وتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع والعيش المتآلف بينهم⁽¹⁾.

سابعاً: التسامح صفة فطرية:

قيمة التسامح من السجايا التي فطر العمانيون عليها وتعتبر مقوماً أساسياً في تكوين الفرد العماني المسلم، حتى جاءت شهادة رسول الله ﷺ فيهم منذ فجر الإسلام: "لو أهل عمان أتيت ما سبوك وما ضربوك"⁽²⁾، ولا غرو وأن طبيعة عمان ترجع لطبيعة الأزديين الذين هم سكان عمان الأصليين⁽³⁾، فقد قال رسول الله ﷺ: "نعم القوم الأزدي طيبة أفواههم نقية قلوبهم"⁽⁴⁾. وهكذا يتضح أن التسامح عند العمانيين هو خصلة طبيعية ليست عابرة أو دخيلة، هي سجية جبلية وافقت استعداد نفسياً ومكوناً ذاتياً ومجتمعياً، وعززتها ممارسة عملية تراتبت على تعاقب الأجيال من خلال منظومة مجتمعية وفكرية متوافقة على هذا الثابت.

⁽¹⁾ الموقع الإلكتروني الرسمي رسالة الإسلام من عمان، رابط <http://www.islam-in-oman.com/ar/interfaith>

⁽²⁾ أخرجه مسلم، في كتاب (الفضائل)، باب (فضل أهل عمان)، برقم (2544)، 1971/4.

⁽³⁾ ذكر العوتبي في الأنساب: كان أول من لحق بعمان من الأزدي مالك بن فهم بن غانم بن دوس الأزدي، عند انهيار سد مأرب باليمن الذي بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بعدما أرسل الله عليهم سيل العرم، مما سبب تفرق العباد إلى نواح كثيرة من البلاد العربية، ومنهم مالك بن فهم الذي توجه إلى عمان. ينظر: السيابي، عمان عبر التاريخ، 1/ 74.

⁽⁴⁾ أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة ر.ه. برقم (8600)، 351/2.

ثامناً: الهوية الوطنية الإسلامية:

رغم أن التاريخ العُماني كان يزدهم بالأنساب والأعراق والمذاهب المختلفة إلا أنهم في إطار العيش المشترك الذي توافقوا عليه والتفافهم حول مبدأ حب الوطن ومكتسباته والمحافظة عليه، امتزجوا في نسيج مجتمعي واحد، رسم ملامح هوية وطنية عمانية مميزة بتنوعها وثرائها من عادات وأعراف أصيلة كثيرة، وعندما جاء الإسلام رسخ هذه الهوية والمنظومة المجتمعية وارتقى بها في بوتقة منضبطة من القيم والأطر الدينية تستند على ثوابت حضارية وحقوق وواجبات متبادلة منطلقة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 90].

فالهوية الوطنية العمانية ترتكز على القيم الإسلامية السمحة والأعراف والتقاليد الأصيلة، وقد تعاضدت توجهات المجتمع والقيادة الحكيمة منذ فجر النهضة الحديثة على وجوب المحافظة على الهوية العمانية باعتبارها الأساس الذي يمكن الاستناد عليه في التعايش المجتمعي والتواصل الإيجابي الفعال مع المجتمعات الأخرى بثقافتها وقيمها المتنوعة، فكانت ركيزة الهوية الوطنية من أهم الأولويات الوطنية للحكومة الرشيدة.

تاسعاً: العدالة الاجتماعية:

اتخذ النظام السياسي في عمان منذ القدم مبدأ إرساء قواعد العدل والمساواة بين المواطنين كافة واعتبروا حق المواطنة من الحقوق التي التموها قناعة لا مجالمة وإيماناً بها لا مخافة ضغوط⁽¹⁾، والعدالة الاجتماعية تتمثل في استيفاء الحقوق والواجبات المتبادلة على حد سواء، وتفعيل قاعدة تكافؤ الفرص بين أتباع المذاهب في كل قطاعات الدولة والمناشط المجتمعية، وقد رسخت الحكومة الرشيدة ودعمت ذلك بسلسلة من القوانين والإجراءات لإقرار الحقوق الأساسية للجميع بدون تمييز، وسمحت لأتباع الديانات الأخرى بممارسة شعائهم الدينية ونحوها من الحقوق والمسؤوليات.

(1) للاطلاع على تقرير هذا الأصل العظيم في أبجديات العيش المشترك وقواعده، والاطلاع على نماذج حية وصور مثالية من الحرص على العدالة الاجتماعية عند أبناء المدرسة الإباضية وعهد الأئمة والسلطين ينظر: الخليفي، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ص 23-287؛ الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص 145-198.

عاشراً: الثقافة العمانية المنفتحة:

ليس أدل عليه مما فعله أهل عمان مع مبعوث رسول الله ﷺ الصحابي عمرو بن العاص عندما أتاهم برسالة الإسلام، لم يرفضوها ابتداءً ولم يؤذوا رسول الله بل طلبوا مهلة ليتفكروا فيها وتجاوزوا معه طويلاً حول مبادئ هذا الدين وتشاوروا مع قومهم، ثم دخلوا في الإسلام طواعية مما يدل على سماحة أنفسهم وتعقلهم الذي هو مدخل التسامح⁽¹⁾. وكذلك انفتاح العُمانيين على العالم ورحلاتهم البحرية التي أكسبتهم تجربة حضارية واثقة بما يملكون من قيم مكنتهم من تكوين علاقات وصلات قوية مع دول العالم من حولهم في إفريقيا والهند وأندونيسيا وجزر الملايو وسيلان وجزر المالديف والكاديف، حتى وصلوا إلى الصين منذ أكثر من ألف عام خلال رحلات تجارية، وانهار الصينيين بأخلاق العُمانيين لدرجة أن الإمبراطور في ذلك الوقت أعطى أحدهم (أبا علي العماني) وساما سَمَاه "جنرال الأخلاق الطيبة". وكذلك البحار العماني الشهير أحمد بن ماجد السعدي العماني الذي جاب البحار، وكان خبيراً ملاحياً في البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي واكن له الفضل في الاكتشافات الكبيرة⁽²⁾.

الحادي عشر: المنهج التربوي:

انطلاقاً من المسؤولية التربوية في قول رسول الله ﷺ: "كلّكم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته"⁽³⁾. واستشعار العُمانيين منذ القدم أهمية وحدتهم وتآلفهم لحياة مستقرة آمنة على كافة المستويات الأسرية والمجتمعية، نجد أصل مبدأ غرس قيمة التفاهم والتحاور والتسامح مع الغير يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام المربين ومؤلفات الفقهاء وجهود المجتمع بصورة عامة، فاستطاعوا أن يورثوا هذه الطبيعة لأبنائهم، ويعلمونهم في بيوتهم ومجالسهم العامة كيفية احترام الغير وتقديره وإجلاله والتسامح معه مهما كان إنتماؤه الطائفي والمذهبي، فضلاً على أن المجتمع العماني يتميز بعادات أصلية ارتبطت بالقيم الدينية مثل التكاثر والتراحم وإكرام الضيوف واحترامهم ونحوها مما يرسخ قيمة التسامح والتعايش الكريم، ولا يبعد عن ذلك تفسير الحديث الشريف: "نِعْمَ المُرْضِعُونَ أهل عمان"⁽⁴⁾، فإنه ﷺ لعله يشير فيه إلى أن أهل عمان كانوا يحسنون تربية أبنائهم بإرضاعهم الأخلاق الحسنة والشيم ويجيدون نقل التوجهات والأفكار الطيبة الموروثة من جيل الآباء إلى الأبناء وهكذا.

(1) السيابي، عمان عبر التاريخ، 1/114-

(2) ينظر للاستزادة في الوجود العماني والعلاقات مع العالم: الزهبي الشيباني، العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان: أحمد، الدور الحضاري للعُمانيين في الصين: ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ص 256-348.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب (الجمعة في القرى والمدن)، برقم (853)، 304/1.

(4) أخرجه عبد الرزاق في كتاب (الطلاق)، باب (نعم المربون)، برقم (13987)، 485/7.

الثاني عشر: نظام التعليم والمناهج الدراسية:

يرتكز نظام التعليم في عمان على مختلف مستوياته على مبدأ التقارب والتواصل مع الغير ويرسخ قيمة التسامح وتقبل الآخر والاعتراف به مهما كان دينه أو مذهبه أو توجّهه، من خلال تأليف مناهجه الدراسية وإقرارها، واللوائح التنظيمية لتشغيل المؤسسات التربوية التي تنص على منع مظاهر التعصب الديني والمذهبي وإشاعة مبدأ الالتزام بروح الألفة واللحمة الاجتماعية. ومن التدابير العملية في هذا السياق تضمين المناهج الدراسية دورسا تحت على التعايش المذهبي والتسامح الديني، وكذلك عقد أنشطة دراسية تؤكد على هذه القيم الدينية والوطنية، من الصفوف الأولى وحتى الصفوف المتقدمة، فعلى سبيل المثال يتضمن كتاب التربية الوطنية والاجتماعية للصف الأول والثاني والثالث دروسا عن اختلاف البشر ومذاهبهم و ضرورة تقبل ذلك الاختلاف والتعايش معه⁽¹⁾.

الثالث عشر: الخطاب الإعلامي:

يمثل الإعلام المحلي أداة مؤثرة في صنع وعي الفرد وتوجيه المجتمع؛ لذلك تركز المؤسسة الإعلامية في السلطنة على تأمين التآلف المجتمعي وضبطه في الداخل، وقد اتخذ القانون العماني إجراءات على عدة مستويات، في هذا الصدد أسهمت بضبط دور المؤسسة الإعلامية، ووظفتها لصالح قيم التعايش، فمنع تأسيس أي قناة تقوم على أساس طائفي، وحظر أي خطاب يروج للطائفية من أي قناة تلفزيونية أو أي وسيلة إعلامية أخرى، وأتاح لأبناء البلد من جميع المذاهب التعبير عن أنفسهم بشرط أن يسهم خطابهم في تكريس حالة السلم والتعايش، ويعزز الانتماء للدولة الواحدة؛ لهذا غاب الخطاب المذهبي والطائفي من القنوات الإعلامية العمانية. بالإضافة إلى توظيف الخطاب الإعلامي في منع الصدام المذهبي، ما أثر إيجابا في حالة التوائم بين أبناء المذاهب المتنوعة في المدن العمانية⁽²⁾.

وأما الخطاب الإعلامي العُماني على مستوى التعايش الخارجي فإنه يضع في اعتباره دوما حُسن الجوار ونبذ الطائفية والمذهبية والعنصرية، ومناصرة القضايا العادلة في المحافل الدولية، والجنوح إلى السلم، وحل القضايا بالطرق السلمية، وتبادل المصالح مع الجميع، وكسب الأصدقاء والأصدقاء³.

(1) يحي: رغم التنوع المذهبي ثلاث خطوات ساعدت على التعايش المجتمعي في عمان، مقال منشور في صحيفة الاستقلال.

(2) المرجع السابق.

³ تصريح وزير الإعلام معالي الدكتور عبدالله بن ناصر الحراسي وزير الإعلام، في احتفالات السلطنة باليوم العالمي للتسامح لعام 2020م، الذي يوافق 16 نوفمبر من كل عام، والذكرى الأولى لإطلاق مشروع "إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، مجلة الرؤية،

رابط <https://alroya.om/post/272861>

الرابع عشر: القيادة الحكيمة الحازمة:

لما كانت التسامح نهجا أصيلا راسخا في أبجديات السياسة العمانية لا حياد عنها على مر العصور إلى عصر النهضة المباركة، والتي توجتها حكمة القيادة المعاصرة وذكاء السياسة؛ فقد انتهجت القيادة العظيمة منهجا فريدا في ترسيخ مبدأ التآلف والعيش المشترك. فاتخذت دورا تربويا ساميا في تربية المواطنين على منهج التسامح والتآلف حادياها الثقة والحب لهذه القيادة الحكيمة المتناعمة مع شعبيها الكريم، فكان السلطان قابوس حكيما في استغلاله الخطاب السنوي للمواطنين في العيد الوطني الذي يوافق 18 نوفمبر ونحوها من المناسبات الوطنية في ترسيخ هذا المبدأ واستنهاض الهمم في الاعتزاز بالوحدة والوطن وإيقاد الحماس في الحفاظ على النسيج المتماسك والمتلاحم للمجتمع العماني، فقد جاء مثلا في النطق السامي: "المجتمع نسيج ويجب أن نحافظ على هذا النسيج من خلال بعض الأعراف الجيدة الطيبة التي علينا أن نتمسك بها". وقوله: "إن لعمان تاريخا عريقا ومبادئ راسخة منذ عصور مضت، وما قمنا به هو تأكيد لتلك المبادئ والتعبير عنها بلغة العصر، ومن المبادئ الراسخة لعمان التعاون مع سائر الدول والشعوب على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة وعدم التدخل في شؤون الغير، وكذلك عدم القبول بتدخل ذلك الغير في شؤوننا". فكان ثمرة هذه التربية بناء مجتمع متماسك في أروع صوره وعظيم آثاره -رغم كل التحديات التي تعترضه والتعددية القبلية والطائفية والمذهبية-.

وفي إطار تلك التربية الجادة المتمثلة في تلك الحكمة الحانية امتزج الحزم بها في مواطن أخرى من الخطابات السلطانية التي تشدد على منع أي تحريض مذهبي تعصبي أو خطاب كراهية بكل أشكاله، ولأجله شرعت القوانين النافذة التي تجرم ذلك وتوجب عقوبته التي لا تهاون فيها؛ لأثرها الخطير على بنية المجتمع والدولة. فجاءت نصوص القوانين العُمانية وعلى رأسها النظام الأساسي للدولة يضع من أهم أولوياته استقرار المجتمع والحفاظ على تماسكه وانسجام أفراده، كما يتضمن في مواده محددات رئيسية في العيش المشترك واحترام الحقوق وتأمين الحريات، ومنع التمييز بين المواطنين بسبب أصولهم أو معتقداتهم أو انتمائهم القبلي أو المذهبي، والتعامل بحزم كبير مع أي تهديد يحاول المساس بالتعايش الديني والمذهبي فيها.

فتنص المادة 108 من القانون الجزائي العماني: "يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن 3 سنوات، ولا تزيد على 10 سنوات كل من روج لما يثير النعرات أو الفتن الدينية أو المذهبية، أو إثارة ما من شأنه الشعور بالكراهية أو البغضاء أو الفرقة بين سكان البلاد، أو حرض على ذلك." و"يعاقب بذات العقوبة كل من عقد اجتماعا أو ندوة أو مؤتمرا له علاقة بالأغراض المبينة في الفقرة السابقة، أو شارك في أي منها مع علمه بذلك"، ويعتبر ظرفا مشددا إذا وقعت الجريمة في

إحدى دور العبادة، أو المنشآت الرسمية، أو في المجالس والأماكن العامة، أو من موظف عام أثناء أو بمناسبة تأدية عمله، أو من شخص ذي صفة دينية أو مكلف بها. وجاء في قانون تقنية المعلومات: يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد على (٣) سنوات وبغرامة لا تقل عن ألف ريال عماني ولا تزيد على (٣) آلاف ريال عماني أو بإحدى هاتين العقوبتين، كل من استخدم الشبكة المعلوماتية في نشر أو توزيع أو شراء أو حيازة كل ما من شأنه أو ينطوي على المساس بالقيم الدينية أو النظام العام.

الخامس عشر: السياسة الخارجية:

تؤمن سلطنة عمان بالعمل من أجل بسط السلام والأمن في العالم، وتقوم السياسة الخارجية العمانية على مجموعة من المبادئ والمرتكزات الأساسية التي تؤكد على دور عمان كطرف فاعل في المجتمع الدولي كحسن الجوار والتسامح والحوار والانفتاح على العالم والبرجماتية. وسعت بصوت الحكمة ودليل العقل إلى مد جسور التواصل مع الحضارات والأمم الأخرى منة خلال نشر رسالة التسامح والأمن والسلام؛ ولأجل ذلك حازت القيادة الحكيمة على إعجاب الدول ونالت ثقة المنظمات الدولية، وتبوأ مكانة بارزة على المستويين الدولي والإقليمي في ظل الأوضاع العالمية الراهنة.

المطلب الثالث: جهود عُمان في نشر التسامح والمؤتلف الإنساني:

أولاً: نشر قيمة التسامح والمؤتلف الإنساني:

1. التواصل العماني مع دول العالم عبر الرحلات البحرية: والتي تقدم الإشارة إليها أنفاً، حيث وصلوا إلى شرق أفريقيا والصين واليابان والهند وأندونيسا وجزر المالديف والكاديف وغيرها، ونشروا عبرها الدعوة الإسلامية والقيم الدينية وثقافة التسامح وقبول الآخر^(١).
2. معرض رسالة الإسلام: تقيم السلطنة معرضاً يحمل عنوان: "رسالة الإسلام في عمان" يهدف إلى تعزيز التسامح الديني والتفاهم المشترك والتعايش السلمي بين الأديان وتعريف العالم بالتجربة العمانية في هذا الجانب، باعتبارها قيمة حضارية وإنسانية من أجل مستقبل أفضل للعالم على المستويين الإقليمي والدولي. ويجوب المعرض الشرق والغرب، وقد زار أكثر من 100 محطة حول العالم في أكثر من 30 دولة.
3. ندوة تطور العلوم الفقهية: هي ندوة دورية تنظمها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان كنموذج حي للتألف الإنساني، تجمع فيها العلماء والمختصين من شتى الدول

(١) للاستزادة حول الوجود العماني والدور الحضاري للعمانيين في تلك الدول ينظر: الزهبي والشيباني، العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان: أحمد، الدور الحضاري للعمانيين في الصين: ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ص 256-348.

والمذاهب والأطراف، وتطرح مواضيع فكرية معاصرة تهتم الإنسانية بهدف رفد الساحة الدينية والثقافية بمختلف الرؤى والعلاجات والحلول لتلك المشكلات الإنسانية وكيفية استثمار التراث الفقهي في ذلك، وقد بلغ عدد الندوات التي أقامتها الوزارة 14 ندوة.

4. **الاحتفال السنوي العالمي للتسامح** الذي يصادف السادس عشر من نوفمبر من كل عام. و تزامناً مع الاحتفال السنوي لاطلاق اعلان السلطان قابوس للمؤتلف الانساني الذي اطلق في عام 2019 في جاكارتا، حيث ينفذ مؤتمر يجمع المختصين من شتى الأطياف والديانات تناقش قضايا السلام والتعايش بين مختلف الأديان والثقافات.

5. **مجلة التفاهم.** ومن بين المطبوعات المتعددة التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وهي مجلة فكرية تهدف إلى التقريب بين وجهات النظر والدعوة إلى التسامح؛ حيث يشارك في المجلة عدد من العلماء والمفكرين من داخل وخارج السلطنة، كما تعمل هذه المجلة على ترسيخ مبدأ حق الاختلاف وتعدد وجهات النظر وتجديد الفكر الإسلامي. ولقد بلغ عدد إصدارات هذه المجلة حتى الآن ستة وأربعين إصداراً⁽¹⁾.

ثانياً: إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني:

جاء إطلاق مشروع جلالته - طيب الله ثراه- من العاصمة الإندونيسية جاكارتا عام 2019م بمناسبة اليوم العالمي للتسامح انسجاماً مع التطبيق العملي الذي تمارسه السلطنة منذ نصف قرن من خلال القواعد المتينة التي رسخها جلالته منذ بزوغ فجر النهضة المباركة في المجتمع العماني عام 1970م، ويمثل امتداداً لتجربة عمان الحضارية منذ القدم في العيش المشترك. فمشروع إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني هو عملٌ من أعمال رائد النهضة العمانية ويمثل جهداً فكرياً كبيراً في نشر قيم السلام والتعقل والتعاون والعدالة في عالم اليوم والغد. وهو جديدٌ في المصطلح والمفهوم والفكرة والمنطلق والرسالة. وشاملٌ يستند إلى قيم ومقتضيات المؤتلف الإنساني، وجاء ليخاطب البشر جميعاً.

وفي تعريف سريع لهذا الإعلان حول أبرز ملامحه وأهدافه ومنطلقه وأبعاده الإنسانية ومركزاته الحضارية، يمكن عرضه بإيجاز على النحو الآتي⁽²⁾:

(1) ينظر: الموقع الإلكتروني رسالة الإسلام من عمان، رابط <http://www.islam-in-oma-ar.html>

(2) للمزيد يمكن الرجوع إلى وثيقة الإعلان والمراجع الشارحة له: وثيقة إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني؛ المعمرى: المؤتلف الإنساني (إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني)؛ وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلة التفاهم (عدد خاص بإعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني).

1. **المغزى أو الهدف من الإعلان:** مقارنة الوضع الإنساني المتأزم بمنهج جديد هو المنهج القيمي والأخلاقي الذي يتلاقى حوله الناس. ولذلك كان المصطلح الجديد: المؤتلف الإنساني القائم على فهمٍ قيمي وأخلاقي عميق .
2. **رسالته:** هي الدعوة إلى مقتضيات «المؤتلف الإنساني» في السلام والعدالة والتضامن والتعاون الإنساني، وتوثيق الصِّلات بين بني البشر. وبالطبع ليست هذه الدعوة فريدةً من نوعها، فهناك دعواتٌ أخرى تريد وتعمل لتحقيق السلام بين الأديان أو بين الدول. فرسالة الإعلان شاملة وموجهة لبني البشر، وهي توضِّح السبل الكفيلة بأن يحصل التلاقي على هدف السلام من خلال الحوار والتداول وروح المصالحة.
3. **منطلقه:** يأتي هذا المشروع من منطلق دوافع التفكير بعمق في مآلات العلاقات الإنسانية بشكل عام وشكل تلك العلاقات وماهيتها في المستقبل القريب أو البعيد، وهو ما يضع العالم أمام مسؤولية إنسانية أولاً وأخلاقية ثانياً.
4. **هدفه:** يهدف المشروع الى المساهمة في وضع نهج يعيد التوازن بين المصالح والوصول إلى اقتراح منهج عمل يُقدِّم للعالم المضطرب ليعينه على النهوض من جديد، واستشراف حياة متوازنة، يعيش فيه الناس على أساس من الكرامة والحقوق الأساسية والأمان النفسي.
5. **أبعاده الإنسانية:** يتضمن المشروع ثلاثة أبعاد ضرورية لإعادة التوازن: يتمثل الأول في تحسين حياة البشر، والبعد الثاني في اعتماد منظومة أخلاق عالمية، أما البعد الثالث فيتمثل في رعاية القيم الروحية للإنسان.
6. **مرتكزاته:** وتتمثل المرتكزات الحضارية للتعارف للمشروع في ثلاثة أبعاد مهمة يقترح من خلالها التركيز على ثلاثية حضارية إنسانية لتحقيق التعايش والتعارف بين البشر وهي العقل والعدل والأخلاق.
7. **موجهاته:** يعمل المشروع الى جانب الثلاثية ذات الأبعاد الإنسانية العامة التركيز على ثلاثة موجهات أساسية تتصل بالسلوك البشري، وهي تتمثل في تعزيز ثقافة السلام والتفاهم واحترام الحياة وتقديرها وطمأنة الناس بالحفاظ على هوياتهم وحياتهم الخاصة وتعميق قيم الشراكة المجتمعية والقيم الاجتماعية.

خاتمة:

في نهاية هذه الرحلة العلمية المباركة في ثنايا التجربة الحضارية العمانية في المؤلف الإنساني يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. المؤلف الإنساني هو التجمع القائم على الألفة والأنس من جهة، وعلى الائتلاف الإرادي العاقل الطبيعي والمصلحي من جهة ثانية
2. المؤلف الإنساني هو الخيار الحضاري الحتمي لإيجاد صيغة تعايش حضاري تراعي حقيقة الاختلاف البشري الفطري.
3. يمكن إدراج (المشارك الإنساني ومؤلفه) كمقصد كلي ضمن مراتب المقاصد وأصناف الضروريات.
4. المؤلف الإنساني يقوم على أسس راسخة وقواعد كلية تهدف بناء حضارة اجتماعية متنوعة الأجناس والمشارب تعمل لخير البشرية وصلاحها الديني والأخروي.
5. نزلت آيات قرآنية ونصوص نبوية واحتهادات فقهية تفصل في مبادئ وأحكام العيش المشترك مع أهل الذمة وأصحاب الملل والنحل الأخرى عموماً.
6. يتمثل التعايش المؤلف بين المسلمين وغيرهم من مجتمعات أخرى غير المجتمع المسلم في حالة السلم الذي يدعو إليه الإسلام ويتطلع إليه من خلال تعاليمه ونصوصه المحكمة
7. اشتهرت عمان بوحدة وطنية واستقرار شعبي ورسمي يقوم على قيم التفاهم والانفتاح والتعايش بين مختلف أطرافه وتوجهاته، وبأنها صاحبة نموذج مميز من التعايش والوفاق من ناحية الوئام والحياد اللذين تسلكهما مع جيرانها والمحيط الإقليمي الأوسع نطاقاً.
8. مرتكزات المؤلف الإنساني العماني متوزعة في أصل منشأها بين طبيعة المجتمع أو كونه الخيار الاستراتيجي أو الحتمي للدولة.
9. نشر العمانيون قيم التسامح منذ القدم عبر الرحلات البحرية.
10. تنفذ سلطنة عمان الكثير من البرامج الدولية التي تعزز قيمة التآلف الإنساني.
11. اعلان السلطان قابوس للمؤلف الإنساني يمثل امتداداً لتاريخ السلطنة الثقافي والفكري في ترسيخ المؤلف الإنساني وعمقها الحضاري في لعب دور وساطة السلام والتسامح.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، د. م: دار الدعوة، د. ت.
2. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ-2003م.
3. أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل تفسير النسفي، تحقيق: عبد المجيد طعمه حلي، بيروت: دار المعرفة، 1429هـ-2008م.
4. أبو الحسن علي بن محمد الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ.
5. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
6. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الفكر، 1401 هـ.
7. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
8. أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاي، لبنان: دار المعرفة.
9. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
10. أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.
11. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ط1، لبنان: دار ومكتبة الهلال، 1993م.
12. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1413هـ.
13. أبو حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، الصداقة والصدق، تحقيق: د. إبراهيم الكيلاني ط4، بيروت: دار الفكر المعاصر، 1429هـ-2008م.
14. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، د. ت.
15. أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، الجزائر، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1984م.
16. أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ.
17. أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مصر: مؤسسة قرطبة، د. ت).
18. أبو عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ط14، بيروت: مؤسسة الرسالة: الكوين: مكتبة المنار الإسلامية، 1407 هـ.
19. أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت: دار ابن كثير: اليمامة، 1407 هـ-1987م.
20. أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، 1408هـ-1988م.
21. أبو عيسى محمد بن عيسى السلي الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.

22. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، بيروت: دار المعرفة، د.ت.
23. أحمد الخليلي، وجهة نظر، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1988م.
24. أحمد الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ط1، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع: الرباط: دار الأمان، 1431هـ-2010م.
25. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البهقي، سنن البهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1414هـ-1994م.
26. أحمد بن حمد الخليلي، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط1، 1434هـ-2013م.
27. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، بيروت، 1403هـ.
28. إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ط1، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1434هـ-2013م.
29. إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، مسقط، 1441هـ-2020م.
30. تيسير خميس العمر، حرية الاعتقاد في ظل الإسلام، ط1، دمشق: دار الفكر، لبنان: دار الفكر المعاصر، 1419هـ-1998م.
31. جعفر كرار أحمد، الدور الحضاري للعمانيين في الصين، ط1، اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة والفنون، 1428هـ-2007م.
32. خديجة جنكيز خان، عمان السلطان قابوس، مثلاً للتعايش بين المذاهب الإسلامية والعالم، ترجمة محمد زاهد جول، 2018 اسطنبول. والكتاب في الأساس بحث لأطروحة تخرج في الدراسات العليا من قسم علم تاريخ المذاهب، في جامعة صباح الدين زعيم، 2017م.
33. خلفان بن جميل السيابي، فصل الخطاب، مسقط: وزارة لثراث والثقافة، 1428هـ-2007م.
34. سالم البرسعيد، الرائع في التاريخ العماني، مسقط: مكتبة الأنفال، د.ت..
35. سالم بن حمود بن شامس السيابي، عمان عبر التاريخ، ط2، مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1406هـ-1986م.
36. صالح بن سليمان بن صالح الزهمي وسلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، العلاقات العمانية بجنوب شرق آسيا والصين واليابان، ط1، مسقط، ذاكرة عمان، 1438هـ-2016م.
37. طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2، بيروت: المركز الثقافي العربي، د.ت.
38. عبد المجيد النجار، مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2008م.
39. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م.
40. محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، ط4، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع: مصر: دار السلام، 2430هـ-2009م.
41. محمد بن أكرم بن منظور، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر، د.ت.
42. محمد بن سعيد المعمرى: المؤتلف الإنساني (إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني)، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمسقط.
43. محمد سعد اليوبي، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، ط2، السعودية: دار ابن الجوزي، 1430هـ.
44. محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
45. محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، ط4، دار الريام، 1332هـ-2011م.

46. محمد علي البار، معاملة غير المسلمين، الحوار والتسامح في الإسلام، شواهد من التاريخ، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
47. نور الدين أبو محمد عبدالله بن حميد بن سلوم السالحي، شرح طلعة الشمس على الألفية، مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة، 1401هـ-1981م.
48. وثيقة إعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني، مسقط، 2020م-1441هـ.
49. يوسف أحمد محمد البدوي، مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، ط1، لأردن: دار النفائس، 1421هـ-2000م.
50. يوسف القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، القاهرة: مكتبة وهبة، 1990م.

المؤتمرات والندوات:

51. حسام الدين السيد، كل التراث الثقافي ومنظومته القيم والأعراف السائدة، نقلا من نوال السباعي، إشكالية التعايش بين الثوابت والخصوصيات، المؤتمر السنوي الثاني للجنة العليا لصياغة البرامج والإجراءات والخطط الكفيلة بحماية الشباب من مظاهر الانحراف والتعصب الديني التابعة لمجلس الوزراء بدولة الكويت، 2006م، ص4، بحث منشور في رابط <http://tourathtripoli.com/old/phocadownload/dirasset>
52. سليمان بن سالم الحسيني، التسامح والمودة وكرم الضيافة التي لقيها الرحالة الأوروبيون والأمريكان الذين زاروا عُمان في القرنين التاسع عشر والعشرين، ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر السادس للفكر الإباضي الذي عقد تحت عنوان "الفكر الإصلاحي للمدارس الفكرية الإسلامية في العصر الحديث"، 1-3 يونيو 2015، بمعهد المخطوطات الشرقية بالأكاديمية العلمية الروسية بمدينة سانت بطرسبرج بجمهورية روسيا الاتحادية، منشور في موقع جامعة نزوى، رابط <https://www.unizwa.edu.om/index.php?contentid>
53. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: ندوة تطور العلوم الفقهية بعنوان (التأليف الموسوعي والفقه المقارن)، المنعقدة خلال عام 1426هـ/ 2005م، ط3، مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1433هـ-2012م.
54. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية: ندوة تطور العلوم الفقهية بعنوان (فقه رؤية العالم والعيش المشترك- المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة)، المنعقدة خلال عام 1434هـ/ 2013م، ط1، مسقط: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1435هـ-2014م.

المجلات:

70. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلة التفاهم (عدد خاص بإعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمسقط، العدد67، السنة الثامنة عشرة، يناير 2020م/1441هـ.
71. وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، مجلة الدراسات العمانية، العدد 15، الترجمة العربية للعدد 13، 2008م، نقلا من رابط <https://www.atheer.om/archives/8849>
72. رشيدة عبدالسلام بوخيرة، التعايش السلمي في القرآن الكريم، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر والبحوث التخصصية، المجلد الأول، العدد1، كانون الثاني، يناير، 1439هـ-2018م.
73. عبدالرحمن السالحي، المؤتلف الإنساني والسلام العالمي، مجلة التفاهم (عدد خاص بإعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمسقط، العدد67، السنة الثامنة عشرة، يناير 2020م/1441هـ.
74. فيصل الحفيان: الإيلاف والانتلاف والمؤتلف الإنساني، الأسرار اللغوية والرؤية القرآنية والأبعاد الحضارية، مجلة التفاهم (عدد خاص بإعلان السلطان قابوس للمؤتلف الإنساني)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بمسقط، العدد67، السنة الثامنة عشرة، يناير 2020م/1441هـ.
75. وائل الحارثي، التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، العدد 11، خريف 2020م.

الشبكة:

55. أحمد يوسف، التعايش في عُمان.. إشكاليات ما بعد الحداثة لم تدخل البلاد، مقابلة مع الشيخ عبدالله الشحري، 2022م، وكالة الأناضول، رابط <https://www.aa.com.tr/ar>
56. آدم يحي، رغم التنوع المذهبي.. 3 خطوات ساعدت على التعايش المجتمعي بعمان، 2020م، صحيفة الاستقلال رابط <https://www.alestiklal.net/ar/view/3900/dep-news->
57. التعايش في عُمان.. كيف حافظ البلد الخليجي على وحدته رغم تغوّل الاستقطاب على المنطقة، موقع عربي بوست، رابط <https://arabicpost.net>
58. جابر بن حسين العماني، عمان التعايش، 2019، جريدة الرؤية، رابط <https://alroya.om/post/239828>
59. جريدة أثير المحلية الالكترونية بسلطنة عمان، رابط <https://www.atheer.om/archives/583191>
60. جريدة الرؤية المحلية بسلطنة عمان، رابط <https://alroya.om/post/219304>
61. طارق الحبيب، ماذا رأيت في الإنسان العماني، لقاء تلفزيوني في برنامج أنت كما تريد، في قناة عمان العامة، 2013م، مقطع فيديو في رابط <https://www.youtube.com>
66. جون بيترسون (باحث غربي في الشؤون العمانية) في بحثه (المجتمع المتنوع في عمان) الذي نشر في دورية "ميدل إيست جورنال"، نقلا من صحيفة الاستقلال، 2020م، رابط: <https://www.alestiklal.net/ar/print/3900/C7>
67. عباس الجمري، عُمان المُتسامحة والمُحايدة: طبيعة مجتمع أم خيار دولة، 2019م، موقع البيت الخليجي للدراسات، رابط <https://gulfhouse.org/posts/3720>
68. محمد عبدالرحمن الصادق، العفو والتسامح ضوابط ومفاهيم، 2020م، موقع بصائر، رابط: <https://basaer-online.com>
62. موقع وزارة الخارجية العمانية الالكترونية، رابط <https://fm.gov.om/policy-ar/principles-ar/>
63. موقع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان، رابط: <https://www.mara.om/ar/arwdt-tqdemett/alieslam-fe->
64. الموقع الرسمي عماننا، رابط <https://www.oman.om/wps/portal/index/tt/aboutoman>
65. الموقع الالكتروني الرسمي التسامح التفاهم التعايش، رسالة الإسلام من عمان، <http://www.islam-in-oman.com/ar/>